خاتمة الطبع

الحمد لله الذى رفع اقدار العلماء واعظم شان الفضلاء والصلوة والسلام على سيدنا محمد سيد النبيين وافضل السابقين والآخرين وعلى آله واصحابه المهتدين المكرمين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين اما بعد فقد تم بحمد الله طبع هذا الكتاب الذى لم يرمثله فى الكتب احد من اولى الالباب لو كتب بماء الذهب الابريز لكان به حقيقاً ولو اتبع [illegible] ذلك خليقاً كيف لا وقد صنفه [illegible] الله الذى لاينطق عن الهوى الا بيبنات من الهدى ولم يشرع الا ما شهد من سنن سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله واصحابه اجمعين

فجزاه الله خير الجزاء وجعل آخرته
خيرا من الاولى بمنه
وفضله وكرمه.

وانا العبد المفتقر احوج الخلق الى الحق العاصى عبيد الحق الشافعى ثم الداومنكوى كاتب هذا الكتاب وغيره من كتب المصنف.

١٦ جمادى الاخرى سنة ١٣٦٤ھ — ٢٩ مى سنة ١٩٤٥ء

قرار. وانما هي فساد ظهر في البر والبحر بما كسبته ايدينا وخلقته اوهامنا. وفي اقتدارنا وفي اختيارنا دفعها ورفعها. وذلك يسير غير عسير. وما ذلك على الله بعزيز.

وانى اوقن حق الايقان ان الله جل جلاله سيحقق وعده الذى اقسم عليه في كتابه الكريم: « وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ. سورة الصافات (١٧١ : ١٧٣)

« كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي. إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ. » (٥٨ : ٢١)

« هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا. » سورة الفتح والتوبة والصف.

« إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ. » مريم (٤٠)

« إِنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. » (٢١ : ١٠٥)

كل هذه وعود إلهية في كتابه الكريم. ايفاؤها وتحقيقها وتوفيتها على امانة امة صاحب القرآن العظيم.

« فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ. » (١٤ : ٤٧)

وكل تلك التلقينات تلقينات المنابر والمحافل كلها طلمات بعضها فوق بعض. ستزيلها عن القلوب والعقول انوار هذه الآيات البينات.

« وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ. »

ومن يتقول ان الاسلام بدأ ضعيفاً وسيعود ضعيفاً كما بدأ فعى وهم. فان كل ما نراه على وجه الارض في المجتمع الاسلامي وفي عالم التمدن في اكتشافاته العجيبة واختراعاته الهائلة وفي جهوده في العلوم والصناعات العظيمة كلها اثر من آثار روح الاسلام. لم يظهر الا بعد ان ارسل الله رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين.

وضعف امة من الامم وزوالها لا يأتي بها روح الاسلام: « إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ. وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ. » (٣٥)

« وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ. »

« إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ. »

« وَإِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ. »

كل هذه عقيدتي. وكل هذه دعواي ودعايتي.

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي. »

(٣) رفض النقل . وباطنه المكر السيئ والجهل المحض .
مفتحه حصر العلوم فى قول الامام المعصوم (المعدوم) وعزل العقول من ان تكون مدركة للحق . وغايته ابطال الاسلام وكتاب الكريم . اما هذا الكتاب كتاب السنة فدعواه : ١) ان ظاهر نصوص الشارع كلها ٢) واحاد السنن الثابتة ، ٣) ومستفيضات السنن ومتواتراتها كلها حجة قطعية شرعية على حدٍ سواء . وتحيتنا لامم الاسلام فى هذا الكتاب سلام . وآخر دعوانا : ان الحمد لله ربّ العالمين . وصلّى
على خير خلقه وآله
وصحبه وصاحبيه
اجمعين .

يوم الاثنين ٢٦ من جمادى الاخرة سنة ١٣٦٤ هـ و ٢٨ من مايس سنة ١٩٤٥ م

قل هذه سبيلى

خطباء المنابر والواعظون فى المحافل لم يزالوا يلقنون الامة فى طوال العصور اباطيل زعوم وسموم اوهام لم تزل تستتبع سكتة القلوب وصرع العقول وجمودها . واقل القليل ضرراً ان الاسلام بدأ ضعيفاً وسيعود ضعيفاً كما بدأ وان الاسلام لا يزال يحط آفلاً الى الانقراض والنفاد وان باب الاجتهاد قد سُدّ تمام الانسداد . وبمثل هذه التلقينات قد فتحوا ابواب الالحاد وهم لا يشعرون . ثم بها قد نبتت جماعة بل جماعات تتفلسف وتتحكم (تدعى الفلسفة وتدعى الحكمة) تقول : اذا اختصرت ثمة اوامة فلا فائدة فى نصرها . واذا مالت فكرة الى الافول فلا انتفاع عنها . فالعقل فى الجمجمة مثل الطب فى الموت ، والدفاع فى الآنل اتيان الشمس من مغربها .

هذه هى زعوم الاكثرية فى الازمنة المتأخرة . واننى لم ازل انكرها شديد الانكار فان كل هذه التلقينات وكل هذه الزعوم الباطلة هى امور عارضة ليس لها فى اصلها

بالظن ضروري في طرفين : ١) في غائب لم يسمع من لسان الشارع وانما سمع من مبلغ سمع . فوجب عليه العمل بالظن للضرورة . ٢) الطرف الثاني في نفس الصورة الفقهية وفي نفس الواقعة . فان الواقعات والحوادث لاحد لها ولانهاية . والنصوص متناهية محدودة . فاعمال الرأي ضروري . لابد من تحكيم الظن في العمل بالنصوص . كان ذلك كذلك في عهد الرسالة . اذ لم يمكن اولم يجب اسماع كل احد . واذ لم يستوعب نصوص الشارع كل الحوادث . والانسان في جميع امورة في كل عصورة كان يُعَوِّلُ على الظنون . فالتعويل على الظنون امرٌ طبيعيٌ فطريٌ للانسان في كل امورة . وامكان الخطأ في الظن لم يكن يزلزل عزم العامل في اقدامه . واذ وجب العمل بالظن فالخطأ في تفاصيل الشرعيات مرفوع .

فاخبار الآحاد تفيد غلبة الظن وتوجب العمل . وقد تفيد اليقين . وهو الاكثر . والاكثر السنن الثابتة هي اخبار آحاد .

وظواهر النصوص : آيات الكتاب الكريم ومتون السنن الثابتة كلها بينة بلسان عربي مبين تفيد ظاهر معانيها أفادة قطعية . والباطنية ، وهي شر فرقة ماكرة مضلة ، يهملون العقل تمام الاهمال ، ويبطلون النظر والتفكر تمام الابطال ويردّون نصوص الشارع الحكيم قبيح الرد بانها تشور يجب نبذها ، وان لها باطناً لايعلمه الامام يدعون عصمته ، ثم يوجبون على الامة ان تتعلمه من ذلك الامام . والامام غائب معدوم لم يره احد ولن يراه اصلاً ابداً .

والباطنية مذهب ظاهره الرفض بكل معانيه : ١) رفض القرون الثلاثة الفاضلة في اول عصر الاسلام ، ٢) رفض العقل

وهذا الاصل الاساسى هو : « اَلصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ » . هو « صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » وهو « صِرَاطُ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ » . (٤٢ : ٥٣) . « وَهُوَ الْمَثَلُ الْاَعْلٰى » فى سعادة الانسان دنيا وآخرة . وقد كان هذا المثل الاعلى سيرة قرون الاسلام الثلاثة فى عهد الرسالة وعهد الخلافة الراشدة .

ثم ارتفع المثل الاعلى بذهاب اهله . فرجعت الحياة الدنيا الى مجراها القديم : فشا الكذب ، و « ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ اَيْدِي النَّاسِ » وهذه الكتب كتب اهل العلم تنطق عليهم بالحق . اذ كانت تستنسخ ما كانوا يعلمون .

والعلم الذى يناله الانسان بالسماع والتعلم ثلاثة :

(١) علم لا يمكن حصوله الا بالسماع والتعلم . مثل لامور الغائبة فى ما مضى من الوقائع او فى ما سيقع من احوال الانسان فى الحياة الآتية اشترط اهل العلم عصمة المخبر بان يكون نبيا ثبت صدقه .

(٢) علم نظرى عقلى ، وليس فى الفطرة ما يرشد الانسان الى الادلة فيه . بل لابد من التعلم . لا ليقلد الانسان المعلم ، بل ليرشده المعلم الى طريق العلم . ثم يرجع العاقل فيه الى نفسه . فيدركه بفكره ونظره . مثل العلوم الطبيعية والرياضية ، ومثل الصناعات والحرف . ولم يشترط احد فى المخبر والمعلم شرطا . ولو كان المعلم المخبر اضل خلق الله واكذبه .

(٣) الثالث العلوم الشرعية الفقهية فى معرفة الحلال والحرام والفرض والمندوب . واصل هذا العلم هو السماع من الشارع ....
والسماع من الشارع المعصوم يوجب العلم . والسماع من الشارع لا [illegible] . ولا يكفى فى كل حادثة وفى كل واقعة . والاكتفاء

نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ".

فالامة اكرم واعز وارفع من ان تكون تحت وصاية وصي ومن ان تبقى قاصرة الى الابد.

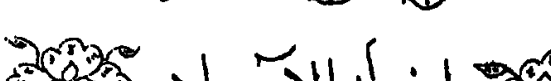

اخبار الآحاد

قد كان مَسَّنى طائف من النسيان. فانساني مدة مديدة بيان مسألة مهمة في اسانيد متون السنن. هي مسئلة اخبار الآحاد وقد فَصَّلَتْهَا كتبُ اصول الفقه وكتبُ اصول الحديث تفصيلاً حسناً فيه طول وفيه انتشار. فتذكرتُ وابصرتُ إذْ أَخَذْتُ في تصحيح اجار المطبعة. فاجملتُ افادة اهل العلم في هذه المسألة اجمالاً يوضح روح المسألة وجوهر الافادة. ولهذا العذر الطبيعي تأخر بيان المسألة ووضعها في ختام الكتاب.

والاصل الاساسي في حكم الاسلام: ان الانسان رجل فرد من بني آدم له عند الله كرامة الاهية. (١٧: ٧٠) ثم عنده من الله امانة الاهية. فشرع الاسلام في شؤون الانسان هو التأمين المطلق: يعتبره صادقاً في اقواله واميناً في افعاله وهذا الاصل الاساسي رسمه الكتاب الكريم لامته ليكون ادباً لاهل الاسلام بين الامم على وجه الارض. وهذه الفضيلة ومثل هذه المسكينة انزلها الله على قلوب المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها. وهو المقصود من تلقين اهل الكلام في كتب العقائد: ان الشر افضل من الملك الذين: "لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ". (٦٦: ٦) (١٦: ٥٠)

فى روح النبوة ، واما القصور فى التبليغ . فدعوى عصمة الامام طعن فى اصل الدين .

والشيعة بدعواها فى الائمة تصغر حق الامة وقوة الامة غاية التصغير . القرآن الكريم قدر رفع ويرفع قدر الامة وقوة الامة مكاناً علياً دونه مكان ادريس . ويعلى بشأن الامة وحرمتها درجات دونها كل درجة . وقد تقدمت فى هذا الكتاب آيات تشهد بذلك . واريد الآن ان اتلو آيات من الكتاب نبشر بها ما ستبلغه الامة بقوتها وعقلها واجتهادها فى مستقبل الايام :

« وَلَوْ اَنَّ مَا فِى الْاَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ اَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ اَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللّٰهِ . اِنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ . » (سورة لقمان ٢٧)

فرض فى القرآن الكريم بليغ ، له اشارة وبشارة وارشاد : لو كانت كل ما فى الارض من شجرة اقلاماً وكانت كل بحار الارض يمدها بعدها سبعة ابحر مداداً ما نفدت كلمات الله التى ستكتبها الامة تداركاً لما كان لنبيها من الامية .

وهذا فى مستقبل الايام قوة كل امة ، بل قوة كل الانسانية ومحمد نبيها والقرآن الكريم كتابها . وكل هذا ليس على مجرى الكلام والكلمات فقط . بل منه ايضاً ان وجه الحكمة وتأمل عجائب الصنعة وادراك اتقان الخلقة لا ينفد ، بل لا يزال يظهر باجتهاد عقول الامة الانسانية

ومن اعجب ما اراه فى نسق الآيات ان آية : « قُلْ اِنَّمَا اَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوْحٰى اِلَىَّ اَنَّمَا اِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ » بعد آية : « قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّىْ لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّىْ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا » فان النبى الكريم العظيم جعل نفسه فى هذه الآية الكريمة مثل فرد من امته فى تلك الايام . فيكون الفرد من امته مثل نبيها . وهذه درجات رقى الى كمال لا اعلى منه . ذكره الكتاب الكريم بعد قوله : اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنّٰتُ الْفِرْدَوْسِ

دعواه وشرحيلة فى تكذيب آيات ظهور الدين على الاديان بنفس الرسالة:
" هُوَ الَّذِيْ اَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدٰى وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ ."
وليس يمكن فى العالم حادثة ليس لها جواب عند الامة ان لم نذع نسخ القرآن الكريم. وعقل الانسان لا يتصور احتياج الامة الى امام معصوم، وقد بلغت رشدها ولها عقلها العاصم، وعندها كتابها المعصوم، وقد حازت بالعصوبة كل مواريث نبيها - وفازت بكل ما كان للنبى بالنبوة.

والله لم يترك يوماً من الايام امة من الامم سدى - بل جعل لها من ابنائها ائمة. وجعل لها عقلاً يهديها ويعصمها. والعقل العاصم فوق الامام فى العصمة. والامة بعد ان بلغت وصارت رشيدة ببركة الرسالة وختمها فان عقلها ورشدها يغنيها عن كل امام. بل هى الامام. وابناؤها بعقولها ائمة "

واحكم قول قاله قائل قول من قال:

ايها الغر، ان خصصت بعقل فاسألنه. فكل عقل نبى.

والعقل نور الاهى يهدى الله لنوره من يشاء. ومن يؤمن بالله يهد قلبه - فان الايمان يهدى القلب الى العلم. "إِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ يَهْدِيْهِمْ رَبُّهُمْ بِاِيْمَانِهِمْ -

فالعقل العاصم، والايمان بالله، وكتاب الله الذى نزل تبياناً لكل شئ يغنى الامة عن كل امام معصوم.

ولو احتاجت الى امام معصوم ذرة لما ختم النبوة برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين الا لزوال الاحتياج ببركة القرآن الكريم. ودعوى احتياج الناس الى امام معصوم تنافى تمام النعمة حكمة الله فى خاتم النبوة - فان الاحتياج اما القصور فى بيان الكتاب، واما القصور

أما اليوم فهمة الامة وجهودها العظيمة في عصور متوالية قد يسرته للذكر.

كل حادثة لا جواب لها في مذاهب الفقه اذا وقعت فالامة لا تخلو ولا تحرم من حكيم حق وصواب جواب يريه الله لواحد من الامة او لجماعة من الامة. والامة التي ورثت نبيها وصارت رشيدة ببركة الرسالة وببركة ختم الرسالة وانتقالها الى الامة، ارشد الى الحق من كل امام فان الامة مثل نبيها معصومة ببركة الرسالة وببركة كتابها، ومعصومة بعقلها العاصم. الامة بلغت وصارت رشيدة لا تحتاج الى امام. رشدها وعقلها يغنيها تمام الاغناء عن كل امام.

كلية العلوم باذاء عقول جميع الناس. كما ان كلية الصناعات باذاء قوى جميع الصناع. ولم يوجد على وجه الارض صانع يصنع كل المصنوعات، ويقوم بجميع حاجات الناس. وكذلك كلية علوم الدين باذاء عقول كل الامة. ومعلوم بالضرورة ان الامام لم يكن له قوة يقوم بجميع حاجات الناس. فكذلك معلوم بالضرورة انه لم يكن يفتي في جميع علوم الدين. ولا يعلم التاريخ اماماً من اولاد الامام علي له علم يبلغ به الى درجة امام من احاد ائمة الامة في علم من العلوم.

انا لا انكر على الشيعة عقيدتها ان الائمة معصومة. وانما انكر عليها عقيدتها ان امة محمد لم تزل قاصرة ولن تزال قاصرة تحتاج الى وصاية امام معصوم الى يوم القيامة. والامة اقرب الى العصمة والاهتداء من كل امام معصوم، واهدى الى الصواب والحق من كل امام معصوم. لان عصمة الامام دعوى. اما عصمة الامة فبداهة وضرورة بشهادة القرآن الكريم. ثم الاحتيال بدعوى غيبوبة الامام الى امد غير معلوم اضعف حيلة لا يرتكبها الا من تيقن عجزه عن اثبات دعواه، واضمر في قلبه بطلان

مَّغْفِرَةً وَّأَجْرًا عَظِيمًا ."

فالامة معصومة عصمة نبيها معصومة فى تحملها وحفظها وفى تبليغها وادائها .

الامة قد حفظت كل ما بلغه النبى الكريم مثل حفظ النبى الكريم ، وبلغت كل ما بلغه النبى الكريم مثل تبليغ النبى الكريم .

حفظت كليات الدين وجزئيات الدين اصلاً وفرعاً . وبلغت كليات الدين وجزئيات الدين اصلاً وفرعًا .

لم يضع من اصول الدين ومن فروع الدين شئ : ١) حفظه الله ، ٢) حفظه نبيه محمد ، ٣) حفظته كافة عن كافة ، عصراً بعد عصر .

ولا يمكن اليوم ان يوجد شئ من الدين غفل عنه او نسيه الامة .

فالامة بالقرآن الكريم والسنة اعلم من جميع الائمة . واهتداء الامة اقرب من اهتداء الائمة . وعلم الامة بالقرآن وسنن النبى الكريم اكثر واكمل من علم علىؓ ومن علوم كل اولاد علىؓ

ومن عظيم فضل الله على نبيه ، ثم من عموم وعميم فضل الله على الامة : ان جعل فى الامة من ابناء الامة كثيراً هم اعلم بكثير من كل الائمة ومن صحابة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا معلوم بالضرورة من نظام الله فى خلقه . فان كل لاحق يرث كل ما كان للسابق ، ثم يكسب ويوفر . والامة الكريمة ما قصرت بل ورثت ثم وفرت ودونت .

والقرآن وعلومه ، والسنة وعلومها ، واجتهاد الائمة وكل ثمرات كل اجتهادات الائمة تنالها ايدينا بسهولة من كتب .

فابن الامة اليوم فى علومه هو الامة فى علومها كلها . وخلاف كسل حاسب ، واستصعابه وهم راسب . كان صعباً عسيراً ومتعذراً من قبل

وفيهم نزل خاتمة سورة الفتح واسمهم فى رسالة الهدى وظهور دين الحق على الاديان كلها ثالث بعد اسم الله واسم رسول الله . وهذا قران كريم فى القرآن العظيم لم يكن لنبى لاملك "هُوَ الَّذِيْ اَرْسَلَ رَسُوْلَهٗ بِالْهُدٰى وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهٗ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهٖ ." - " وَكَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيْدًا : مُحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ مَعَهٗ " (سورة الفتح) والموصول بحكم النظم العربى معطوف على المبتدأ . فيكون "وَالَّذِيْنَ مَعَهٗ" بشهادة الله رسلاً من الله الى العالمين : "وَكَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيْدًا"

والصحابة الكرام والامة الكريمة ، بما لهم من القوة والبأس فى ظهور الدين وغلبته على الاديان ، جمعوا فى انفسهم مثل التوراة وهو الشدة ، وبما لهم من الرحمة واللين فى حياتهم الادبية والاجتماعية جمعوا فى انفسهم مثل الانجيل وهو الرحمة والرأفة .

اما القران الكريم فقد ذكر فى مثل الصحابة ومثل كل الامة : "كَزَرْعٍ اَخْرَجَ شَطْاَهٗ فَاٰزَرَهٗ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوٰى عَلٰى سُوْقِهٖ ." خاتمة سورة الفتح (٢٩)

ومثل القرآن الكريم فى الصحابة الكرام وفى كل الامة يدل عقلنا دلالة ظاهرة بالغة بليغة على ان الله جل جلاله بقدرته وحكمته ينبت الامة نباتاً حسناً يكون كل دور منه اقوى من سابقه ، وكل خلف يكون احفظ واعلم من سلفه ، وكل قرن من قرونه اكمل من قرينه . حتى اذا استوى يكون على سوقه ، اصله ثابت وفروعه فى السماء .

فبعد شهادة القران الكريم ، وبعد استشهاده بمثل التوراة وبمثل الانجيل الحكيم ، وبعد مثل الله العزيز العليم ولله المثل الاعلى فكل كلمة على خلاف هذه الشهادات كلمة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار . "يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِى الْاٰخِرَةِ . وَيُضِلُّ اللّٰهُ الظّٰلِمِيْنَ وَيَفْعَلُ اللّٰهُ مَا يَشَآءُ ."

" لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ . وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ مِنْهُمْ

ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ." والمعنى ان خير القرون الماضية قرني . ثم الذين يلونهم هم ايضاً خير من القرون الماضية . فالقرون الثلاثة من قرون الامة هم خير من كل القرون السابقة قبل الاسلام . وعلى هذا المعنى فالحديث لايكون فيه تفاضل قرون هذه الامة . اذ قد ثبت : "امتي كالمطر لايدرى اولها خير ام آخرها ."

وان كان معنى الحديث خير القرون من هذه الامة قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . فمعنى الحديث ان القرن الاول هو افضل القرون من هذه الامة ويكون معنى الحديث الثاني ان امتي كالمطر لايدرى اولها خير ام اخرها ؟ في سعة الارزاق وفي اتساع البلاد والدولة . في اي القرون تتضاعف الخيرات وتتسع البركات اكثر ؟ في اولها ؟ او في اخرها ؟

فالقرون الاول خير القرون على كلا الحديثين . قرن الرسالة وقرن الخلافة الراشدة فيه نزل القرآن الكريم وكتب . وفيه المصاحف مئات الآف . وفيه حفظ كل اصول الشرع والدين . وفيه قامت الدولة الاسلامية على اساس متين . وفيه اتسع فتوحات المؤمنين فان الدين والملك توأمان والدين اساس الملك وعماده . والملك خادم الدين وحارسه . وقد قال النبي لعشيرته وكان يقول لصحابته : "ادعوكم الى كلمة ان قبلتموها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم ، وادت اليكم الخراج ."

عصر الرسالة كانت على الحق بالضرورة وبشهادة الواقع وشهادة القرآن الكريم . وعصر الخلافة الراشدة كان على الحق بشهادة النبي وشهادة كل آيات القرآن العظيم . والصحابة الكرام على حسب شهد به التاريخ ، كان لهم دين وادب عظيم . وكان لهم وفور علم ومعرفة ونفاذ بصيرة واهتمام بالامور كامل .

ذيل على ما للامة في القرآن العظيم

اصدق قول قاله قائل في الله جل جلاله قول من قال: ان الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه. ثم نظر في قلوب الامم بعد قلب محمد فوجد قلوب اصحابه خير قلوب العباد. فجعلهم وزراء نبيه الكريم. فالصحابة خير العباد وخير الامم كلهم اجمعين. وعباده في قوله "وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ" هم اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

آخر سورة من القرآن الكريم نزلت سورة النصر العزيز والفتح المبين وآخر آية من الكتاب الكريم نزلت كانت هي آية اكمال الدين، واتمام نعم الله على المؤمنين وآية رضى الله الاسلام دينا للعالمين. وآكد وعد موكد بالقسم الالاهي كان هو وعد الاستخلاف كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، ووعد التمكين الذي لم يكن لاحد من قبلهم. واجل فرح حصل للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم في آخر حياته كان آخر فرحة فرحها في آخر ساعة من حياته اذ رفع ستار حجرة ام المؤمنين عائشة، فرأى جميع اصحابه يصلون صلاة جماعة الف الله بين قلوبها خلف خليفته الذي اقامه اماما لامته في دينها ودنياها. وكانت هذه الصلاة هي قرة عينيه ورضى قلبه ونور فؤاده. حتى طمأن الله بها قلبه. فكانت آخر كلمة صدرت من لسان سيد المرسلين كلمات رضا وكلمات اعتماد على استقامة امته بعد مماته كما استقام هو في حياته. فكان هو والصحابة الكرام اول من نزل فيهم: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا." (٤١: ٣٠) وآخر كلمة سمعته السيدة عائشة يقول: الرفيق الاعلى. وكتاب الله في حفظ الله بيد مولاه."

هذا هو الذي وقع وهذا هو الحق الذي كان ينبغي ان يقع. فكل قول يخالف حرفا منه حرفا من هذا القول هدر باطل.

ثبت ان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: خير القرون قرني

هي التي تولد امامها المهدي . لان الامام المهدي ينجي الامة من فسادها وذلتها وزوالها . فان هذه امنية باطلة تناقض سنة الله ، وتناقض ارشاد الكتاب الحكيم .

كتبت كتاب السنة بكامل الاخلاص لوجه الله . ولم اكتبها بقدرة علمية وانما كتبتها برغبة اندفاعا . ليثبت عند ابناء الامة كون سنة صاحب القرآن اصلا اوليا بين اصول ادلة شرع الاسلام . ثم اجملت كل ادلة الشرع اجمالا فيه غناء .

واحببت ان اكتب سيرة النبي الامين من كتاب الله المبين . وذلك على سيرة النبي الكريم ما للامة في القرآن العظيم . وكان ذلك مني كتابة تجربة لاستعد على ازيد منها . اوليتقدم من هو ارغب واقدر مني الى احسن منها .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

دعوانا فيها سبحانك اللهم . وتحيتنا فيها سلام . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

اول ربيع الاول من سنة ١٣٦٤

(١٩٤٥ : ٢ : ١٤)

موسى ابن فاطمه

ولو رجعنا الى انفسنا اليوم لاخذنا ها مواخذة
وكم لو وليت تورث القلب انصلا .

٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ . » - جعل اطاعة اولى الامر مثل اطاعة الله واطاعة الرسول. اطاعة الرسول اطاعة شرعه . فاولو الامر لهم حق التشريع .

٣٥) لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ » - كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ » . فالعصمة من الخطا ضمنها الله للامة عند وجود الاخلاص .

٣٦) السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . الامة في فضيلة السلام شريك للانبياء وشريك لنبيها الاكرم العظيم . ويدخل في السلام سلامة الامة وعصمتها من الخطأ في امور دينها .

٣٧) الصلوة والسلام والمباركة في قعدات كل صلاة مكتوبة ونافلة ان كانت مقبولة فامة محمد صاحب القرآن الكريم لها حق التشريع ولها شرف العصمة في قرارها كانبياء آل ابراهيم . والا لكان دعاء النبي الكريم في كل حياته ودعاء الامة في كل عصورها عبثاً وضلالاً . مثل قول الكتاب الكريم » وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ »

الامة في عقيدتي معصومة عصمة نبيها . وهذه هي اليوم دعواي. وبها فقط لا بغيرها يمكن بقاء الاسلام على وجه الارض عزيزاً ظاهراً الى يوم القيمة . والامة ان لم يكن لها عقل يعصمها وايمان يهديها وقوة تحميها فلا وجود للامة ولا للدين الاسلام .
وانا انتظر يا انتظر من الله ومن كلية الامة . والامة العزيزة المهيبة

١) أَنْ لَّا تَخَافُوا، ٢) وَلَا تَحْزَنُوا، ٣) وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ.
٤) نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ٥) وَفِي الْآخِرَةِ، ٦) وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ، ٧) وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، ٨) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ

آيات جليلة لم تنزل في كتاب من الكتب ولا في نبي من الانبياء. وكان النبي الكريم كلما تلاها يقول: « هم امتي ورب الكعبة. »

تنزل الملائكة عدد قطر الامطار بهذه البشائر الثمان العظيمة فضل من الله على نبيه عظيم، وفضيلة لم تكن لنبي من الانبياء ولا لامة من الامم. بل خص الله بها امة نبيه محمد. ومحمد والذين معه هم اول من دخل في هذه الآيات.

٣٣) الامة تشارك النبي الكريم في التبليغ بنص القرآن العظيم: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا." فالقرآن نزل على عبد الله وعلى عباده ليكون القرآن نذيراً في لسان عباد الله وهم الامة في كل العصور. فان سند القرآن الكريم سند حي: ١) تحمله جبريل من الله، ٢) تحمله النبي الكريم من الله ومن جبريل ٣) تحمله الامة المعصومة من نبيها المعصوم: كافة من كافة الى يوم الوقت المعلوم، ٤) ثم كل عصر بعد تحمله يحمله الى الامم الى العالمين. فيكون القرآن الكريم في كل عصر بل في كل يوم بل في كل آن نذيراً للعالمين في لسان الامة.

وقول النبي الكريم: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله" يدخل فيه القرآن الكريم دخولاً اولياً. لقول الله: « وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ » والحمل غير التحمل فان التحمل هو التلقي من غيرك. والحمل هو الاداء الى غيرك والتبليغ اليه.

وشرف التبليغ اشرف وظيفة على كل عصر، وعلى كل الامة: بل وعلى كل فرد من الامة: لو قامت به.

٢) ادعوا الى الله انا ويدعو من اتبعنى. ٣) على بصيرة انا وعلى بصيرة من اتبعنى .

« لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ .» ـ « لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ .»

٢٦) « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ .» اشهر آية واشرف آية . خطاب لكل الناس فى كل العصور . ولا يمكن بقاؤه الا اذا كان الامة خلفاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

٢٧) فى التثبيت : لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ .» ـ « قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا .»

٢٨) فى السلام من الله : « قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى .» ـ « وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ .

٢٩) للرسول كرامة . ولامته مثلها : لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ .» كرامة لاحد لها ولا نهاية ـ « لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ .»

٣٠) الكتاب الذى قال الله فيه : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ .» قال فى شرف الامة : « لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ . أَفَلَا تَعْقِلُونَ .»

٣١) ذكر القرآن الكريم فى الانبياء السابقين : « وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .» ـ وذكر فينا « وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ . هُوَ اجْتَبَاكُمْ .» ـ جعلنا بالاجتباء والاصطفاء فى درجة الانبياء . ولم يذكر فى الامم الا التفضيل . والاصطفاء كلى يجمع الفضائل . فضل الامم قبل وجود الامة الاسلامية . واصطفاها بعد وجودهم . والاختيار على الموجود افضل من التفضيل على المعدوم المفقود .

٣٢) ذكر الله جل جلاله فى كتابه امة محمد بما لم يذكر به احداً من الانبياء : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ

هذا الشرف الاعلى حتى تكون قدوة ومثلاً لسائر الامم فى كل الامور.

والشهادة فى هذه الآية الكريمة غير الشهادة فى قول الله: "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا". (٤: ٤١)

وللشيعة فى هاتين الآيتين الكريمتين كلمات ثقيلة. لاشك انها موضوعة على لسان الصادق والباقر. فى الوافى. (٢: ١٢٠)

٢٢) كل ما كان ينزل الى النبى الكريم فى حياته ينزل الى امته فى حياتها. الى يوم القيامة. وهذا نص سورة القدر. لان تنزل الملائكة والروح باذن الله ليلة القدر فى كل سنة لايكون الا للامة: "تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر". وهذه السورة محكمة ظاهرة نص على ان الامة شريك لنبيها فى اخص خصائص النبوة، وان رسالة الامة متصلة تمام الاتصال برسالة نبيها. لافصل ولا انقطاع فى الرسالة.

ومن اعجب ما نراه فى ترتيب السور: ان سورة رسالة الامة متصلة بسورة رسالة النبى من غير فصل

٢٣) الامة شريك لنبيها فى الظهور والغلبة: "هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله". - "وعد الله الذين آمنوا منكم ليستخلفنهم"

اضاف الدين الى الامة، واكد التمكين بالقسم. فدل على ان دين الامة وسياسة الخلافة الراشدة بعد النبى هو الذى ارتضاه الله لهم.

٢٤) فى كمال العطاء والاحسان حتى يرضى: "ولسوف يعطيك ربك فترضى". - "ليدخلنهم مدخلا يرضونه". - "وان لك لاجرا غير ممنون". - "فلهم اجر غير ممنون".

٢٥) فى الدعوة والتبليغ على بصيرة: "قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى: ١) هذه سبيلى وسبيل من اتبعنى.

رجحان كفة الامة .

٢٠) فى كل فضيلة وكمال تستوجبها الرسالة : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ " . عطف على المبتدأ . فالذين معه رسل الله الى الامم . فكل فضيلة تستوجبها الرسالة تكون فى الامة . وهذا الوجه يؤيد قراءة اشداء رحماء بالنصب على الحالية .

ومن بيان هذه الآية الكريمة اخذ النبى الكريم قوله : " علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل . " . ويؤكده تاكيداً لايدع ذرة ريبة قول الله الله جل جلاله . " كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي . إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ . " لان القسم لايكون الا للمستقبل . فالرسل فى الآية هى الامة الاسلامية الى الامم . ولم يكن مع النبى نبى فى زمنه ولن يكون بعده . فالرسالة فى الامة الاسلامية باقية الى يوم القيامة ، وبيدها كتاب الله الكريم . ويكون فى هذا تحقيق قول الله " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . "

وقول الله جل جلاله فى عيسى " . إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . " (٤٣ : ٥٩) اذا تلوناه بعده قول الله " وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ . " (٤٣ : ٦٠) نفهم ان الآية عرضت للامة المحمدية الرسالة الى الامم . فالامة المحمدية خلف لنبيها محمد فى الرسالة الى الامم .

٢١) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . " (٢ : ١٤٣)

اشترك الامة الكريمة مع نبيها فى الشهادة على الامم . فان النبى الكريم مثل اعلى فى ادب الحياة للامة . ومن وظائف الامة ان تكون فى ادب الحياة مثلاً اعلى لسائر الامم . وعلى الامة ان تستعد لمثل

١٥) فى الايمان : « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ . وَالْمُؤْمِنُونَ » - بما انزل اليهم من ربهم . كُلٌّ آمَنَ (النبى وامته) بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ . فالنبى كفرد من امته ، وكل فرد كنبيه فى الايمان بالله .

١٦) فى الجهاد لاقامة دين الله : « لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَعَهُ جَاهَدُوا .

١٧) فى الاستقامة : « فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ .

فاستقامة الامة مثل استقامة نبيها فى اقامة الدين . فالامة فى اقامة الدين معصومة بايجاب العطف . والعطف على الضميرين من غير فصل فيه افادة معجزة تفيد شدة ارتباط الامة بنبيها فى الاستقامة وتوجه خطاب الله وامره .

ثم قول الله « وَمَنْ تَابَ مَعَكَ » يتم ويتناول كل الامة الى يوم القيامة حيث جعل المعية فى مجرد التوبة ، سواء عاصره اولا ، وسواء اشترك معه فى عمل من الاعمال ، اولا . وكل هذا من واسع كرم الله ، ومن عظيم بركة انتساب الامة الى نبى الله .

وكان النبى الكريم يقول بلسان الشكر « شيبتنى هود واخواتها » واخوات سورة هود هى عبس والنازعات والمرسلات . يشير النبى الكريم بذلك اشارة نبوية على ان الامة ستستقيم استقامة النبى ، وروح النبوة ستبقى فيها . فكأن النبى حى بحياة الامة اشيب بشبابها .

١٨) فى الايمان من كل خزى : « يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ » امن الامة كما قد امن نبيه من كل خزى وسوء الى يوم القيمة .

١٩) فى وعيد من يخالف : « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ » فمخالفة الامة مثل مخالفة الرسول . والوعيد فى مخالفة الرسول على المشاقة . اما فى مخالفة الامة فالوعيد على مجرد عدم الاتباع . ومثل هذا البيان بلاغة معجزة فى بيان

ليعلم سعة رحمته . وهذا هو الفضل الكبير .

وانكان الظالم هو الذى يسعى ويتعب نفسه فى طلب المعالى والفضائل فالتقديم على اصله .

٨) النبى خاتم الانبياء . وامته خلائف فى الارض لكل الامم على وجه الارض . فامة الاسلام تخلف كل الامم فى كل الامور .

٩) لَقَدْ تَّابَ اللّٰهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِيْنَ وَالْاَنْصَارِ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُ فِيْ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيْغُ قُلُوْبُ فَرِيْقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ. اِنَّهٗ بِهِمْ رَءُوْفٌ رَّحِيْمٌ .» (٩ : ١١٧) جمع الامة ونبيها فى توبة الله عليها وعليه . ثم تفضل بالتوبة على من زاغ من الامة .

١٠) وَاِذَا سَاَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَاِنِّيْ قَرِيْبٌ » (٢ : ١٨٦) كانت كل امة تفزع الى نبيها . وهذه الامة تفزع الى الله . وهذا فضل الامة على انبياء الامم . وضمن الله فى هذه الفزع الرشد والاهتداء .

١١) فَاَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِيْنَتَهٗ عَلٰى رَسُوْلِهٖ وَعَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ » (٤٨ : ٢٦) - « هُوَ الَّذِيْ اَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ فِيْ قُلُوْبِ الْمُؤْمِنِيْنَ .»

١٢) شرح الصدر : « اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ » - « اَفَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ صَدْرَهٗ »

١٣) التيسير : « فَاِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ » يُرِيْدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ »

١٤) غفرات الذنوب كلها : « لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَاَخَّرَ » - « اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ » - « وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .»

ومغفرة الذنوب للنبى كانت بالفتح والنصر . فنحن نأمل ان الله يغفر كل ما تقدم وكل ما تأخر من ذنوب الامة بفتوحاتها وجليل انتصاراتها فى سبيل الدين والتمدن والعلوم والمعارف .

على النبى وعلى امته . كل الامة فى كل صلاتها تسلم على النبى ثم تسلم على امته . فالامة فى الشرف وفى الكرامة مثل نبيها .

٦) التأييد : هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ " - " .... وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ .

٧) الاصطفاء : " اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ " ، ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا . " ذكر الايراث والميراث تاخذه الاحياء بعد الاموات . والكتاب محفوظ الى الابد . فالامة احياء الى الابد . واصطفى الامة بنون العظمة بنفسه لنفسه . ولم يكل الاصطفاء الى غيره . وسائر الامم لم تكن مصطفاة فانحرفت عن كتابها . والامة ببركة الاصطفاء لا تنحرف . واضاف العباد الى نون العظمة لقطع امكان الانحراف والضلال بالاغواء وغيره . " إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ " ؛ (الحجر : ٤٢) ذكر الاصطفاء بعد قوله : " إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ " . والاصطفاء بعد العلم بالاهلية لا زوال له . فلا يمكن الضلال فى الامة . ثم ذكر كل درجات افراد الامة : ١) الظالم لنفسه ، ٢) المقتصد ، ٣) السابق بالخيرات . وذكر ان كل هذه الدرجات باذن الله . وقال ان وجود كل هذه الدرجات (فاطر : ٣٥) فى الامة هو الفضل الكبير . ثم ذكر واسع كرمه فقال : جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا " من غير مانع وبكمال الاهلية . كل هذه الدرجات بمنزلة واحدة .

وهل يوجد فرق بين قولنا : ١) ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وبين قولنا : ٢) ظالم نفسه ؟ فان قلنا ان لا فرق بين التركيبين ، فتقديم من ظلم نفسه لان اقتراف الذنوب اول درجات العبد ، ثم الانابة الى الله . والسبق بالخيرات آخرها . ولان السابق يتكل على طاعته ، والمقتصد يتكل على حسن ظنه بربه . والظالم لا يتكل الا على رحمة الله . فقدم الكتاب الكريم الظالم

مجمل دفعي .

والامة الكريمة شريك لنبيها في كل كمالاته في كل فضائله في كل وظائفه في كل حقوقه .

كل ما انعم الله به على نبيه من فضل ونعمة ، وكل ما نزل من عرش الله العظيم الى نبيه الكريم وكله بعده لامته ، والامة شريك لنبيها في كل كمال كان له في حياته ، ثم ورثته بعد مماته . وكل فضل وكل نعمة ذكرها القرآن العظيم لنبيه فقد ذكرها لامته :

١) وَمَآ اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِيْنَ - خطاب للنبي ، " كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ." خطاب لامته . وامته اخرجت للناس هم الانبياء فائمة الامة خير من الانبياء .

٢) اتمام النعمة : " وَيُتِمُّ نِعْمَتَهٗ عَلَيْكَ " خطاب للنبي ، " وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِيْ " خطاب لامته الى يوم القيمة . واول داخل فيه اول الامة .

٣) النصر في كل الامور : " وَيَنْصُرَكَ اللّٰهُ نَصْرًا عَزِيْزًا " خطاب للنبي . " وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ " خاطب المؤمنين ، واوجب النصر على نفسه بقسم مؤكد .

٤) اِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِيْنًا " خطاب للنبي . " وَاَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيْبًا " خطاب لاهل الايمان . وفتح المؤمنين كان اوسع واقوى من فتح النبي

٥) الصلاة من الله ومن الملائكة . اِنَّ اللّٰهَ وَمَلٰٓئِكَتَهٗ يُصَلُّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ . . " هُوَ الَّذِيْ يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلٰٓئِكَتُهٗ . وصلاة الله وصلاة ملائكته على النبي وعلى امته ارفع بكثير من سجود الملائكة لآدم في شان التشريف والتكريم . كل الامة في كل احوالها يصلى ويسلم

١١)" وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ "!
وَالْجَنَاحُ جَانِبُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ . كان وقوراً ساكناً عظيم التواضع "فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ." كَانَ يَبْرَأُ من عمل العامل ، وما كان يؤاخذ العامل .

الامة الكريمة ورثت نبيها خاتم النبيين فقامت مقامه في كل وظائفه وتمت

" ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ." (٣٥ : ٣٢)
اورث الله كتابه بعد نبيه امته ، بعد ان بلغت رشدها وَاشُدَّها واستوت باصطفاء الله وبتعليم نبيه وتزكيته . حتى صارت الامة المرحومة المعصومة الكريمة اهلاً للرسالة واحق بها . وبيدها كتاب الله وسنن نبيه العظيم . فحملت الامة الرسالة الاسلامية الى الامم "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" ، " وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ." (٤٣ : ٦٠) . فقد شاء وقد جعل . والملائكة هم رسل الله الى افراد من البشر (٣ : ٣٩) (٣ : ٤٢) (٣ : ٤٥) . ولم يجعل الله ملكا رسولاً الى قوم والى امة من البشر .

وذلك ان الله جل جلاله لم يرسل نبيه صاحب القرآن الا رحمة للعالمين . فصاحب القرآن الكريم رحمة لامته . فكل كمال له من الله وكل فضل عليه من الله قد ورثته أمته وانصبغت به قلوب امته وعقول امته .

" صِبْغَةَ اللَّهِ . وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً . وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ "
صبغ الله نبيه بكل كمال له منه ، وبكل فضل عليه منه . فانصبغت (٢ : ١٣٨) به امته في مدة حياته النبوية بين امته . والصبغ تطوير وانقلاب

وتعظيم لم يكن لأحد .

٤) " قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ . فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا " (٢ : ١٤٤)

ذكر وجه النبي الكريم وجعل تقلبه في السماء سبب سعي الله في رضا نبيه .

٥) " وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ... " ، " مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ "

ذكر عينيه وذكر ثابت ادب البصر اذ نظر الى وجه الله .

٦) " وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ . قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ " عصم اذن نبيه من ان يسمع شراً لاحد

٧) " فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ " (١٩ : ٩٧) (٤٤ : ٥٨) .

القرآن الكريم يحفظه الامة : صغيرها وكبيرها ، بصيرها وضريرها . والتيسير كان ببركة لسان النبي الكريم .

٨) " نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ (٢٦ : ١٩٤) (٢ : ٩٧)

" لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ " (٥٩ : ٢١)

كان قلب النبي الكريم قوياً لم يتصدع وقد تحمل كل القرآن الكريم وكان راسياً ارسى من الجبال .

٩) " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ... "

ذكر شرح صدره وسعته في حفظ القرآن الكريم وكل علومه ، وذكر قوة ظهره في تحمل كل اعباء الرسالة . وذكر ان الله رفع ذكره ببركة سعة صدره وقوة ظهره .

١٠) " وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ "

الفواد محل العلوم من القلب . وثبات الفواد بتثبيت الله جل جلاله فضيلة جليلة .

من فضل العقل وكماله ان يدرك الحق ويعلم الصلاح من الفساد ويميز الخبيث من الطيب ، ويعرف الحسن من القبيح . ومن ادب العقل ان يطيع امر الحكيم ، ويتابع الشرع والقانون . والشرع والقانون يتوافقان . والعقل المطلق من وهم ومن هوى اذا صفا يكون مرآة ينعكس فيها الحق آية من الله وبينة من ربه .

فما اطمأن اليه العقل وماسكن اليه وجدان القلب السليم هو الدين . والادب المعقول هو صحيح الادب المنقول .

« يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ » (٢:١٢٩)

« يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ » (٦٢:٣)

ذيول لفصول السيرة (١٨)

القرآن العظيم ذكر كثيراً من اعضاء بدن النبي الحكيم بعظيم التعظيم .

(١) « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُوْنَ إِلَيْكَ . أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوْا لَا يَعْقِلُوْنَ . » (١٠ : ٤٢) معنى هذه الآية الكريمة ان لسان النبي الكريم كان برهان رسالته . فلو لم يكن المستمع اصم ، وكان يعقل لآمن فوراً بتاثير لسانه المبارك .

(٢) « وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ . أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوْا لَا يُبْصِرُوْنَ (١٠ : ٤٣) معنى هذه الآية الكريمة : ان وجه النبي الجميل المليح برهان رسالته ، فالناظر اليه لو لم يكن اعمى لاهتدى بمجرد رؤية وجه النبي الكريم .

(٣) « يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيْهِمْ » — « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ . وَلٰكِنَّ اللهَ رَمٰى » جعل بد النبي الكريم يد الله في هاتين الآيتين . وهذا شاء

في كلتا الآيتين (٣٤ : ١٣) (٤ : ٦٦)

العقل يدرك الحق ويدرك افعاله . ويدرك حسن افعاله الحسنة ، ويدرك قبح افعاله السيئة . العقل له الادراك . وليس له حكم اصلاً . لا بالايجاب ولا بالنهي .

« إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ . » — « قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ . »

فلا حكم ولا انذار ولا تكليف للعقل . وليس للعقل ان يكلف أحداً بشيء .

واعدى المذاهب الكلامية والفقهية ادباً في هذه المسألة هم الاشاعرة : يسندون كل الاحكام ساعة الامتثال والاطاعة الى الشرع الحكيم والى امر الله ولا ينكرون المصلحة والحكمة في شرع الله . ولا يحكمون العقل في الحكم والتكليف والايجاب والنهي . ولا ينكرون ان العقل له الادراك . ويوقنون حق الايقان ان الشرع احكم واعلم لا يامر بقبيح ولا يخالف ابداً مصلحة وحكمة . ويقولون ان امر الله يوجب ويقتضي المصلحة ولا ينكرون الا التعليل ويتأدبون من ان يقولوا ان امر الله معلل بالمصلحة .

وهذا ادب العبد في جنب الله . وحكم الله متعال مثل تعالي الله عن ان يتوقف الى شيء او يعلل به .

« لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ . وَهُمْ يُسْأَلُونَ . »

« لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ . لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . »

للعقل وعلى العقل ان يدرك كل شيء . وليس له ان يحكم على آخر بشيء .

وهذا الادب هو الذي يناسب كرامة الانسان . اذ كرمه الله بكمال عقله وباستقلال قدرته ، وباطلاق حريته في ارادته . ليس عليه الا ان يطيع امر الله .

شروط الاحساس من الضوء والوضع وعدم الحجاب . ونحن لا نرتاب في الاحساس . وشأن العقل والبصيرة مع الادلة ومع الحقائق مثل شأن البصر مع شروطه من الضوء والوضع .

والانسان يدرك نفسه ويدرك افعاله . وللافعال في انفسها حقائق متقررة : حسنها حسن ، وقبيحها قبيح . والفعل في نفسه حسن وله في نفسه عند ميزان العقل رجحان لا بالامر فقط ، ولا من اختيار الفاعل فقط . والتحسين عقلي والتقبيح عقلي . والعقل يدرك حسن الحسن ويدرك قبح القبيح بالضرورة او بالنظر . والشرع الحكيم معرف هادٍ لا مثبت .

نحن نتبع ملة ابراهيم ، ونقتدي بهداه . « وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ » (٢ : ١٣٠) فنسند كل الاحكام الى الشرع والى امر الله . والعقل يطيع الامر ، كما ان الطبيعة تطيع الارادة « وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ » (٢ : ٧٤)

« وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ . فَأَتَمَّهُنَّ » (٢ : ١٢٤)

الكلمات هي تعاليم الله وهداياته . فاتمهن ابراهيم من غير اعتراض ، ودون بحث عن مصلحتها وحكمته فيها ودون توقف . فنحن في امتثالنا واطاعتنا لامر الله على ملة ابراهيم ، نطيع امر الله لمجرد كونه امر الله . وليس من ادبنا ساعة الامتثال ان نبحث عن مصلحة الامر وحكمته .

« وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ . وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا . وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا . وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا » سورة النساء (٦٦) . ونحن انشاء الله من القليل

يكون حكم الشرع فى اقرار هذا الشئ او فى رفعه .

١٤) الاحتياج اصل عظيم من اصول كل الشرائع . واصل عظيم فى شرع الاسلام .

ثبت ذلك ثبوتا قطعياً باستقراء موارد النصوص ومواقع معانيها . ليس فى شرع الاسلام وفى دينه من حرج . وليس فى شرع الاسلام شئ يوقع الانسان فى ضرورة او فى ضيق .

والحاجة كما قال المحق الصادق ، ام الاختراع . والاختراع هداية من الله كونية . فكذلك تكون الحاجة ام الحكم . والحكم هداية من الله شرعية والمقاصد فى شرع الاسلام : ١) ضرورى ، ٢) حاجى ، ٣) كمالى . ولا يمكن ان يوجد حاجة يحتاج اليها الانسان ويمنعها شرع الاسلام .

١٥) هداية العقل يعتبرها الكتاب الكريم فى شرعه . كما يعتمد الشارع على العقل فى خطابه .

هذا اصل عظيم من اصول الشرع الحكيم . والعقل موهبة إلاهية علية . بنى عليها وعلى الامانة التى عرضها الله على السماوات والارض والجبال الشرائع الاسلامية .

وينبغى لكل مؤمن ان يتنبه انه ليس كل فكر وكل وهم رسا فى ذهن الانسان بعقل . وليس كل ميل وكل هوى تمكن فى صدر الانسان بوجدان يجده الانسان فى قلبه آية من الله وبينة من ربه .

والعقل بصيرة فى الانسان لا يرى الا الحق . مثل البصر لا يرى الا النور . ولم يجئ فى الكتاب الكريم ذم العقل اصلاً . وانما جاء نفى العقل . ومعناه لو كان عقل لادرك الحق . لان العقل لا يقبل الباطل . كما ان الماء لا يحرق . واعظم شواهد الله فى خلقه هو العقل اولاً والحس ثانياً . والحس يدرك حقائق واقعة حسية ، عند تحقق

واحسن كتاب فى الاستحسان والمصالح المرسلة هو كتاب المستصفى للامام الغزالى وكتاب الموافقات للامام الشاطبى.

ويعتبر فى المصالح غلبتها لا خلوصها. اذ ليس فى الكون مصلحة خالصة. والمصلحة وان لم يمكن خلوصها تماما من كل مفسدة يعتبر فيها النصفة: ان لا تتعدى مفسدتها لسائر الناس.

والمصلحة ميزان الشرع الاسلامى. والمصالح تسعة اعشار الشرع الاسلامى.

١١) العوائد المعروفة تعتبر على انها سنن اجتماعية للامم. والعوائد اذا كانت ضرورية بحكم الطبيعة او كانت حاجية بحكم تنازع المجتمع فهى سنن اجتماعيه يقرها شرع الاسلام. والاسلام قد اقر كثيرا من عوائد العرب اذ لم تكن فيها مفسدة:

وقول الله جل جلاله: «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» عبارة نص فى ان السنن الاجتماعية، اذا لم يكن فيها مفسدة اجتماعية، هداية لنا يريد الله ان يهدينا سنن الذين من قبلنا.

وعلى ضياء هذه الآية الكريمة لنا ان نقول:

١٢) التجارب الاجتماعية من اصول الادلة فى ثبوت الاحكام الشرعية

وقد كان النبى الكريم الشارع العظيم قد هم ان ينهى عن الغيلة ثم انتهى عن همه النبوى بحال الروم والفرس. اعتمد على التجربة فترك همه النبوى. وهمه كان ابتداء فى مصلحة مهمة.

١٣) شهادة التاريخ دليل لاثبات الاحكام.

اذا تحقق شهادة التاريخ لصلاح شئ بكونه نافعا للمجتمع او لفساد شئ بكونه ضارا فى المجتمع، فعلى وفاق هذه الشهادة

الشرعي ليل ضروري على عدم الحكم الشرعي بالضرورة .

٨) الاستحسان : هو الاخذ بالمصلحة الجزئية على خلاف الاصل الكلي .

وهو المراد في قول الفقيه الحنفي : ان الاستحسان قياس خفي يقابل القياس الجلي .

من اعجب شواهد الاستحسان قصة صاحب موسى في خرقه السفينة وفي قتله النفس الزكية ، وفي اقامة الجدار بلا اجر وقد كانا في اشد حاجة الى القوت اذ « استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما » وهذه القصة العجيبة احسن قصة في ارشاد اهل العلم . (سورة الكهف (٦١ : ٨٢) بل كل قصص هذه السورة قصص حكيمة جليلة في افاداتها .

فالمصلحة القطعية كانت معتبرة في الشرائع السابقة وهي معتبرة في شرع الاسلام ، خالفت اصلاً من الاصول الكلية او لم تخالف . وليس استحسان الفقيه عملاً بالهوى وبالرأي ، وانما هو اقتداء بسنة الشارع في اعتبار المصلحة .

٩) سد الذريعة .

اذا كان شئ ذريعة لمفسدة او جعل شئ ذريعة لمفسدة يمنع ذلك الشئ منعاً باتاً . فان منع المفسدة قبل وقوعها ورفع المفسدة بعد وقوعها هو غاية كل شريعة . فالمصلحة دليل الثبوت والمفسدة دليل المنع .

١٠) المصلحة دليل في الاحكام العادية الاجتماعية . والحكم ان التي بمصلحة للمجتمع فالحكم باقتضاء المصلحة ثابت مشروع . والشرائع السماوية كلها على المصالح الاجتماعية .

من صيغ العموم والاستغراق ، ٣) وقد تكون باستقراء مواقع المعنى حتى يحصل بالاستقراء فى عقل المستقرى امر كلى عام يجرى فى الحكم و فى الاستدلال مجرى العموم المستغرق المستفاد من صيغ العموم . وقد يكون اجلى من صيغ العموم فى الافادة ، مثل التواتر المعنوى لا يتطرق اليه وهم التخصيص .

والقرآن الكريم نزل بجوامع البيان : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ » سورة النحل (٨٩) والنبى الكريم بعث بجوامع الكلم اختصر له البيان والكلام اختصاراً على وجه ابلغ ما يكون وعلى وجه اقرب ما يمكن من التحصيل . ورأس هذه الجوامع فى التعبير هو العمومات بالوضع او بالاستقراء .

وكثير من كليات الشرع وكثير من قواعد الشرع تبين وتثبت باستقراء اهل الاجتهاد .

كتب الاصول قد عدت الاستقراء من فروع الادلة . واراه من احق اصول طريق النظر ومن اصدقها نتيجة . نتائجه لا تكاد تكون خطأ نعم قد تكون ان كليتها منتقضة فى بعض جزئياتها .

فروع الادلة (١٧)

كتب الاصول فصلت ادلة فرعية بعد الاصول الاربعة

٦) الاستصحاب : ثبوت حكم او دليل على بقائه فى الحال . وثبوت حكم فى الحال دليل على ثبوته فى المستقبل .

٧) البراءة الاصلية : ان لم نتيقن بوجود دليل على حكم من الاحكام فالبراءة الاصلية العقلية الطبيعية تكون دليلاً على عدم الحكم عدم الدليل وان لم يكن دليلاً على العدم فى الكونيات الا ان عدم الدليل

النكاح لبقاء النسل . ويجوز نكاح العاقر، وان ندر وجود النسل منها .

والقياس يعتبره الشارع فى السعة وفى دفع الحرج ، لا فى تكثير التكاليف ، ولا فى التضييق

فلا قياس فى الحدود والكفارات .

والقياس بالغاء الفارق بين الاصل والفرع يجعل الفرع اصلاً . فيثبت الحكم بنفس دليل الاصل . فالقياس بالغاء الفارق اقوى من القياس بابداء الجامع .

الاستقراء (١٦)

احق طرق النظر واصدقها نتائج حقة واعمها واوسعها واغناها نفعاً وبركةً فى العلوم كلها هو الاستقراء . والاستقراء: ١) ان يقرأ الناظر الباحث الحقائق الكائنة من جمال وجه الطبيعة ومن صحائف كتاب الكائنات . ٢) ان يتتبع الناظر حقائق الكون من منابعها الاصلية الصافية . وهو المراد من قولهم: ان الاستقراء هو انتقال الناظر من جزئيات تتبعها الى كلى هو استخرجه منها .

(الاستقراء من قرأ ومن قرى .)

والاستقراء يجرى فى الشرعيات مثل جريانه فى الكونيات وفى العقليات . والحكم الاختيارى الوضعى الذى قد وضعه الشارع الحكيم العليم مثل الاحكام العقلية الضرورية ومثل الامور الكونية فى التحقق والثبوت والاثبات .

وعمومات القرآن الكريم والشارع الحكيم فى عقيدتنا قطعية مثل قطعيات سائر العلوم . وعمومات الكتاب الكريم: ١) قد تكون

قانون التعليل والسببية (١٥)

قانون التعليل وقانون السببية عندنا بينة ابتدائية . واهل الكلام وان اطالوا الكلام فى كون العلل علامات مقادنة غير مؤثرة وفى كونها موثرة لايزلزل هذه البينة . وقانون السببية قد ابدعته الحكمة الالاهية لانتظام امور العالم . لكل شئ سبب ، ولوجود كل شئ مصلحة وغاية . لاعبث فى الخلق . والعلل الشرعية والاجتماعية عندنا مثل العلل الطبيعية الكونية مؤثرة توجب الحكم ، ويترتب على الحكم غاية ترتباً قطعياً مثل ترتب المسبب على سببه . علة الحكم فى نظرنا علامة للحكم بوضع الله ، ومؤثرة بجعل الله .

علة الحكم تكون : ١) امراً حقيقياً . مثل الاسكار فى حرمة الخمر ومثل القرابة فى سهام الميراث . ٢) تكون امراً عرفياً . مثل اعتبار الشرف والكفاءة فى النكاح .

علية العلة تثبت : ١) بحكم العقل . مثل الصغر فى ثبوت الولاية على الصبى وعلى امواله ٢) بنص الشارع " فَإِنَّهُ رِجْسٌ " فى التحريم " انما جعل الاستيذان لاجل النظر " . ٣) باثبات المناسبة بين الحكم والعلة .

الحكم الذى يثبته القائس يترتب عليه المقصد : ١) قطعاً مثل ترتب الملك على عقد البيع ، ٢) ترتباً ظنياً : مثل ترتب عصمة الدم والحياة على شرع القصاص . " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ " . ٣) يكون ترتبه مأمولاً . مثل ترتب المصلحة المطلوبة على تحريم المسكرات ٤) وقد يكون ترتب بعض المقاصد نادراً . شرع-

على حاله . لو تغير لكان القياس مبطلاً للنص في الاصل . ولا في الفرع بزيادة وصف على حكم الاصل ، او سقوط قيد كان في الاصل . والا لكان القياس اثباتاً ابتداءً لا بالتعدية من الاصل .

٨) ان لا يكون دليل الاصل شاملاً للفرع . للاستغناء عن تعب القياس .

٩) ان لا يكون حكم الفرع منصوصاً بنص آخر . فان القياس يكون عبثاً او باطلاً . كلامنا في القياس حجة مستقلة . والا فالنصوص الموافقة للقياس كثيرة .

١٠) ان يكون الفرع نظيراً للاصل . والحكم اذا ثبت في الاصل على سبيل التكريم فقياس الحرام على هذا الحلال يكون باطلاً في حكمة الشرع . اكل الناسي استثنى من وجوب القضاء . فقياس الخطأ على النسيان ليس بفقه .

١١) ان يكون حكم الفرع بعد التعدية مساوياً لحكم الاصل . فان تغير الحكم في الفرع بطل القياس . فقياس ظهار اليهودي مثلاً على ظهار المسلم باطل . فان ظهار المسلم ينتهي بالكفارة . والحرمة في ظهار اليهودي مؤبدة . فان كفارة اليهودي لا تعتبر .

١٢) ان لا يكون علة الحكم متأخرة من نفس الحكم .

فقول القائل ان عرق الكلب نجس مثل لعابه لاستقذاره غير صحيح . لان ثبوت الاستقذار لا يكون الا بعد ثبوت النجاسة

١٣) ان لا يكون تعدية الحكم الى الفرع مناقضاً للحاجة العمومية . وللمصلحة الضرورية . فان عموم الحاجة اقوى من كل قياس . فاذا عارض القياس حاجة او مصلحة بطل القياس .

فقياس ضمان الدرك على الديون المعدومة في عدم جواز

وللقياس بعد ذلك شروط :

١) كون الحكم فى الاصل معقولاً يمكن للعقل تعليله . فان كان حكم الاصل تعبدياً ، ليس للعقل تعليله فلا سبيل للقياس .

٢) ان يكون الحكم فى الاصل شرعياً ثبت بالكتاب والسنة فان كان حكم الاصل اصلياً ابتدائياً فثبوته فى الفرع لا يحتاج الى القياس وان كان حكم الاصل اعتقادياً فثبوته فى الفرع لا يكون الا بدليل العقل او بنص الشارع . وان كان حكم الاصل حسياً فلا تعدية . او كان حكم الاصل لغوياً فلا يثبت الوضع بالقياس .

مثاله : عصير العنب سمى خمراً لوجود الشدة المطربة . فالنبيذ خمر لوجود الشدة . لا يثبت الوضع ولا التسمية بالقياس .

٣) ان لا يكون حكم الاصل مختصاً بالاصل . فان ثبت اختصاص حكم الاصل بالاصل بدليل . فلا يتعدى الحكم الى محل آخر . لان الاصل منفرد بحكمه . مثل قبول شهادة خزيمة وحده . كان مختصاً به . فلا يمكن قياس صحابى آخر على خزيمة فى قبول الشهادة . لقوله وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ . لئلا يكون القياس مبطلاً للنص القائم .

٤) ان لا يكون حكم الاصل منسوخاً فى الاصل . وهذا ظاهر .

٥) ان لا يكون حكم الاصل متأخراً عن الفرع . فلا يجوز قياس الوضوء فى حكم من الاحكام على التيمم .

٦) ان لا يكون القياس موجباً لتغيير حكم ثبت فى الفرع بالنص . التمليك شرط فى الكسوة . فقياس الطعام فى التمليك للكسوة باطل . لانه يوجب تغيير حكم ثبت بالنص فى الطعام بقول الله : « فكفارته اطعام عشرة مساكين » والاطعام يتأتى بمجرد الضيافة .

٧) ان لا يتغير الحكم لا فى الاصل بان يبقى حكم النص فى الاصل بعد التعليل

عجيب مستبعد الا انه قد وقع .

وقد تقدم ان القياس هو الحد الاوسط . به يوزن ويذرع حكم لدين . هو الحد الاوسط فى الضرب الاول من الشكل الاول . والشكل لاول بديهى الانتاج . والحد الاوسط هو المقياس والميزان فى الاحكام لشرعية مثل سائر الموازين لسائر الاشياء .

والقياس يعتبره الشارع الحكيم فى التوسيع وفى دفع الحرج ، لا فى تكثير التكاليف ولا فى التشديد والتضييق .

والفقيه اذا كان لطيف النظر ونافذ الفكر يهتدى الى ثبوت لحكم لشبه بين الاصل والفرع . يستدل بقياس الشبه (بالتمثيل لمنطقى) اذا كان فيه توسيع لعباد الله ، وتحقق به دفع الحرج .

« وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » . (٢٢ : ٧٨)

قياس الفقهاء . (١٤)

له اربعة اركان : ١) الاصل الثابت حكمه . ٢) الفرع المطلوب حكمه . ٣) الحكم المطلوب ثبوته . ٤) الشئ الجامع الذى قد كان سبباً لوجود الحكم فى الاصل .

وبعد هذه الاربعة يحتاج القائس الى اثبات امور :

١) وجود الحكم فى الاصل .
٢) كون الحكم معللاً فى الاصل .
٣) ان يعين علة الحكم فى الاصل .
٤) ان يثبت وجود العلة فى الفرع .
٥) عدم المعارض فى الاصل .
٦) عدم المانع فى الفرع .

وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا . وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ . » سورة الانفال ٢٣ .

ظنت اهل التفسير ان الآية الكريمة من اول الشكل الاول . واستشكلت النتيجة . ثم تكلفت فى الجواب مالم يخلُ من تحريف معنى الآية .

والآية الكريمة فيها جملتان : ١) اولاهما برهان التلازم : لو كان فيهم خير لاسمعهم الله . لم يوجد فيهم خير ليستوجب الاسماع . فلم يسمعهم . ٢) الثانية برهان التعاند : يوجد عندهم مانع ، فيتا الاهتداء . فلم يسمعهم . فتولوا . وهو الاباء والاستكبار ، والاعراض

والآية الكريمة بنظمها العربي لايمكن ان تكون قياساً اقترانياً . لان لو الامتناعية لاتكون فى الاقترانيات .

والقياس فى الاصل هو الوزن والذرع والتقدير بوحدة مصطلحة معروفة . ولكل شئ ميزان على حسبه . على ما بينه الكتاب الكريم . وبالقياس والوزن والذرع والكيل يظهر التفاوت والتساوي بين الاشياء .

وميزان الكتب الالاهية السماوية فى الاحكام هو القياس » . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . » سورة الحديد (٥٧) . فالقياس كان معتبراً وكان اصلاً اساسياً فى كل الشرائع السابقة .

» اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ . » سورة الشورى

فالقياس هو اصل اساس الدين . انزله الله على نبيه » وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ . هو اصل من اصول الدين . هو فى الكتاب وفى السنة . هو روح النصوص ومعقول النصوص . به يظهر فضل الدين . لم يكن لفقيه ان يخالفه . واختلاف اهل العلم فى القياس

ومثل الاجماع اتفاق الشيخين . الصديقؓ والفاروقؓ:
« وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ » (سورة النور ٥٥)
فان هذه الآية الكريمة فى الصحابة الكرام زمن الصديق والفاروق رضى الله تعالى عنهما والله قد مكن لهم دينهم وارتضاه لهم. فاتفاق الشيخين على شئ على ملأ من الصحابة الكرام دين ارتضاه الله حجة قطعية، لاريب فيها .

واتفاق المذاهب الاربعة مثل الاجماع .

القياس (١٣)

الاصل الرابع من اصول الادلة فى شرع الاسلام هو القياس وقياس الفقهاء هو الضرب الاول من الشكل الاول عند المناطقة بفرق فى الاصطلاح والعرف والاعتبار، اساسى : وذلك ان قياس المناطقة مركب من مقدمتيه او اكثر، وقياس اهل الفقه بسيط غير مركب . والحد الاوسط، الذى يسميه المناطقة حداً اوسط ، هو القياس عند اهل الفقه ، وهو البرهان . وتمثيل المناطقة يسميه الفقهاء قياس الشبه . وقياس الشبه عند اهل الفقه معتبر . واعتبره الشرع الكريم فى مسائل مهمة . وقياس الشبه يكون خزينة علم ان كان الفقيه على بصيرة من امره.
« إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ . » (١٥ : ٧٥)
والادلة التى فصلها كتب المنطق وكتب الاصول ، كلها معتبرة فى فقه الاسلام . وجاءت فى الشرع الحكيم . الا القياس الاقترانى على اسلوبه اليونانى فلم يأت له نظير فى الكتاب الكريم . وقول الله جل جلاله : « وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ

اجتماعها تكون فوضى وغوغاء تنقلب كثرة : « إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا . وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا . وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا »

وفى الكتاب الكريم آية كريمة حكيمة موجزة معجزة : قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ : أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ . ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا . »

الامانة فى الاستشارة والفائدة فى المذاكرة بين اثنين لا فى الكثرة . والوصول الى المقصد وانتاج التفكر فى الانفراد ، لا فى الزحمة .

والبلاغة كل البلاغة فى هذه الآية الكريمة فى قول الله : « أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ : » والقيام لله ، واخلاص العمل والقول الفكر لوجه الله لايكون الا لأحدٍ من الملايين . منهم المكتشفون . ومنهم المجتهدون .

وقد تقدم فى اول هذا الفصل المختصر الاجماع الذى لا يمكن ان يقع فيه اختلاف . وهو المعتبر فى الاسلام وهو الدليل . وهو فرق التواتر فى الافادة .

وقلت فى اثناء هذا الفصل ان الاجماع توفيق الهى الى اختيار الصواب . يكون بنزول السكينة على اهل الاجماع ، ليسدهم روح القدس ويلزمهم كلمة التقوى وكلمة الصواب . وهم احق بها وهم اهلها . اذا قام كل لله مثنى وفرادى .

وقد وقع مثل هذا الاجماع فى الامة الكريمة فى حوادث وفى قضايا كثيرة . وهو دليل على حسب وعد الله : « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ . »

اما اجتماع الاكثرية او اتفاق الكل فى تنفيذ امر وفى امضائه فهو قوة وليس بدليل . وتسميته واعتباره دليلا مسامحة .

والاجماع فى عقيد تنا مثل القضاء فى نفوذه . الا ان القضاء جزئى فى حادثة جزئية . اما الاجماع فالغالب انه لمصلحة عمومية ، مثل القانون . والمصلحة العمومية لها حكم فى زمنها . ولن تكون ابدية

الاجماع اتفاق اهل الحل والعقد . والحل حل المسألة يكون بالعلم والعقل . والعقد عقد الامر ووضع القرار وتنفيذه لا يكون الا بالقوة . فلذلك لا يكون الاجماع برهاناً . بل الاجماع قوة فوق البرهان . ولهذا لا يكون خلاف الاقل يمنع نفوذ الاجماع . ولا يكون العصمة شرطاً فى الاجماع .

ولهذا لا يكون قرار الاجماع ابدياً عمومياً اصلاً . وامة فى قطر اذا اجتمعت على امر فحكم هذا الاجماع لا يتجاوز هذه الامة ، ولا يتجاوز حدود القطر . ويكون الحكم محدوداً فى قطر هذه الامة .

وفى كتب الاصول فى الاجماع كلمات ينبغى على الفقيه ان يكون على بصيرة فيها وعلى احتياط .

وقد اهتدى البشر فى القديم والحديث فى مجالسه النيابية والملية الى العمل برأى الاكثرية وبارادة الاكثرية . وهو الاجماع الذى نبينه فى كتب الفقه واصوله . ورأى الاكثرية وارادتها وان كان اقصر خط مستقيم فى تنفيذ القرار وفى امضائه ، الا ان الاكثرية لا تدل على ان القرار حق نافع خادم لصلاح المجتمع ولمصلحة الجماعة .

وقول الواحد على خلاف الكل او قول الاقل على خلاف الاكثر قد يكون حقاً وصواباً انفع من قول الكل ومن قول الاكثر .

« وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . »

ومن هاهنا تتبين فضل الفقيه اذ يقول : ان الاجماع لا يعتبر الا اذا كان له سند يدل على ان القرار حق فيه صلاح . فان الكثرة عند

شديدة .

ولى فى الاجماع فكر ونظر . ولا اوافق اهم مايقوله اهل العلم فى حكم الاجماع .

تقول كتب الاصول : الاجماع ، من جهة كونه اتفاق فقهاء الامة دليل وحجة ، مثل الكتاب ومثل السنة . والاجماع اذا تحقق يكون قطعيا ويكون عموميا وابديا . لايجوز خلافه اصلاً . وهذا لااوافقه . لوجوه سيأتى .

تقول كتب الاصول : اجتهاد الامراء والقواد فى الامور القضائية والسياسية والحربية اذا استقر على قرار فهو اجماع . دليل قطعى وحجة عمومية .

تقول كتب الاصول ان الاجماع لايتحقق ولايعتبر الا اذا كان لسند ينبنى عليه . وهذا القول اعتراف صريح فى ان الاجماع ليس بدليل . ولو كان دليلاً لما احتاج فى تحققه وفى كونه معتبراً الى سند . ثم لو كان دليلاً لاستدل به ولاحتج به اهل العلم فى المسائل النظرية والعقلية .

قال البعض ان الاجماع توقيف عن مستند . وقال البعض ان الاجماع توفيق من الله الى اختيار الصواب . ينزل الله سكينته على المؤمنين ، ويسددهم روح القدس الى الحق ويلزمهم كلمة التقوى وكلمة الصواب ، اذا كانوا احق بها واهلها . وهو معنى قول النبى الكريم لاتجتمع امتى على الضلالة » . وهذا احسن محامل الاجماع . واعلى ما نرجو ان يكون اهل الاجماع عليه : « أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا » .

ارى رؤية بصيرة ان الاجماع معتبر ، لاعلى انه دليل فى المسائل النظرية . بل على انه قوة التنفيذ فى المسائل العملية الاجتماعية الوضعية وليس الاجماع بدليل على ثبوت حكم من الاحكام ، ولاعلى صدقه - وانما الاجماع قوة لتنفيذ الحكم . فشأن الاجماع على عقيدتنا ارفع .

الاجماع (١٢)

كتب الاصول جعلت الاصل الثالث من الاصول الاربعة هى الاجماع.

والاجماع الذى لم يمكن ان يقع فيه اختلاف اهل العلم هو: اتفاق الامة الكريمة فى كل قرونها وكل عصورها على تحمل القرآن الكريم والمصاحف المكرمة المرفوعة المطهرة. وعلى تحمل السنن الثابتة وعلى تحمل كل اركان الدين. وعلى نقلها وتبليغها على التواتر بل فوق التواتر بدرجات.

وتحقق الاجماع بهذا المعنى من خصائص الاسلام، ومن خصائص كتابه الكريم. لم يوجد لامة من الامم ولا لكتاب من الكتب فى وقت من الاوقات.

والاجماع والاجتماع فى الامور التى يحتاج فيها الى القوة ضرورى لايقوم ولا يتقوم امر كبير الا باجتماع عدد من الناس، قليل او كثير. اما الافكار والآراء والامور الغامضة فان الاجتماع قد لا يأتى فيها بفائدة: لا فى حل المسألة ولا فى ايضاحها ولا فى ازالة غموضها ولا فى قبول قرار معقول لامضائها. بل الاكثر الاغلب ان طبائع الناس فى المذاكرة والمشاورة تولد التضاعن والتعاند. فالاجتماع يفسد المقصد. والمعانى اذا استخرجها من تابوتها عاطفة تمكنت فى القلب او استخرجها هوى حاكم على العقيدة وعلى العقل فان المعانى فى امثال هذه الصور اهوية لها اتجاهات متمايلة الى جهات. لا تأتى برفاق اصلاً ولا تجرى رخاء الى صواب. واجماع اهل العلم فى مثلها قد لا يمكن.

ولكتب الاصول ولكتب الكلام فى انكار امكان الاجماع وفى تكذيب من يدعى وقوع الاجماع فى الاجتهاديات السنة حديدة وكلمات

الازهر الانور . المؤمن يستغنى بهما عن كل شئ . وينبغى له ويجب عليه ان لايستغنى باحد الكتابين عن الآخر . وصلاح الانسان وسعادته ان يكون ذا حظ عظيم من كلا الكتابين : ان يأخذ الانسان باوفر حظوظه واوفاها من كون الله ومن كتابه الكريم . والمعلم فى كتاب الله الاكبر هو عقل الانسان واجتهاده . والمعلم فى كتاب الله الاكبر الانور هو نبيه الذى ارسله الله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين محمد النبى الامين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين .

« بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ . » (٨٥ : ٢١) واللوح المحفوظ فى هذه الآية الكريمة هو كل الكون . كتبه الله بحكمته وقدرته . فيه كل العلوم . والعلوم تفسير الكتاب الكريم . والكون هو ام الكتاب : وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ . » (٤٣ : ٤) اتل الكتاب الكريم وتعلم معانيه من اللوح المحفوظ وام الكتاب .

تامل سطور الكائنات . فانها من الملأ الاعلى اليك رسائل ولاينبغى لامة مسلمة تبتغى ظهور الاسلام وعز الدنيا وسعادة الآخرة ان تنتن باحد الكتابين عن الآخر .

« وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . » (٢١ : ١١١)

« وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ . (١٢ : ١٠٥)

« وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . » (٤٠ : ٨٣)

فى كتب اصول الفقه وكتب اصول الحديث اصطلاحات فى اقسام الاحاديث . واسهل كتاب وانفعه فى اصول الحديث كتاب النخبة والنزهة للامام ابن حجر العسقلانى .

ولا نستصغر الخلف ولا نيأس من روح الله ومن فضل الله ورحمته في الخلف .

« إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » (١٢ : ٨٧)

ومن يتقول غير ما اقوله وقلته في هذه الصفحات ، فهو يحتقر الامة ، ويستصغر هذه الامة الوسط ، ويأيس من روح الله ويقنط من رحمته .

نحن نحسن الظن بالائمة وبالسلف ، ثم لا نسيء الظن في احد من الخلف . وليس معنى احسان الظن ان نؤثر قول السلف على الكتاب الكريم وعلى نصوص السنن الثابتة . ومن يتخذ قول احد حجة فهو من الذين : « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ » (٩ : ٣١)

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ . » (٤٩ : ١)

واذا فتح الله لعدل متأخر من عدول الخلف الذين اثنى عليهم الشارع الحكيم باجل ثناء ، دليلاً من ادلة الشرع وثبت عند النظر صحته فانا لا نرد دليله بوهم ان السلف تركوه بعد ان عرفوه . فان هذا ترك ونسخ لدليل الشرع بمجرد الوهم . مثل الاول كان نسخاً لدليل الكتاب والسنن بمجرد حسن الظن بالسلف . والوهم والظن مردود لا يغني من الحق شيئاً .

وليس من شأن المؤمن ولا من ادب المؤمن ان يتخذ مجرد حسن الظن وباطل الوهم سبيلاً الى ارتيابه في كتاب الله او في سنن نبيه .

والمؤمن غني او فر الغنى واوفاه بالكتابين : ١) بكون الله وهو كتاب الله الاظهر الاكبر . ٢) وبكتاب الله وهو القرآن الكريم

اسابيع لم انم فيها ليلاً ولا نهاراً حتى كتبت رسالة طبعتها فى عاشرة هذا العصر . (١٩١٠) وقلبى بها مطمئن الى اليوم .

والذين لهم فقه وفهم فى سنن الشارع الحكيم الكريم، صلى الله عليه وآله وسلم يعلمون ان النبى الكريم قد سن للعمل الواحد صوراً وهيئات كلها جائزة شافية كافية . فالاخذ بها لايكون اختلافاً والاخذ بها لايكون تركاً وانكاراً للبقية .

والسنن سنن النبى الكريم وسيرة حياته وكل هديه مجموع مدون . وكل ما دونه الائمة ثابت صحيح . اصل اول بين اصول ادلة الشرع . كتاب الله محفوظ كما نزل ، والسنن مدونة باجتهاد ائمة السلف والائمة قد فرغت تمام الفراغ من بحث الاسانيد . وامتازت صحاح السنن من غيرها تمام الامتياز . وقد ورثنا كل امام وكل حافظ حجة كل علومهم والامة تفهم مقاصد الشرع ومقاصد الشارع كل الفهم على كما لها وتتمكن تمام التمكن من الاستنباط والاجتهاد والتشريع . نحن نتحرى ..... مقاصد الشرع . ونحن نتوخى صلاح المجتمع الاسلامى . كما نتوخى صلاح الحياة المدنية . وهذا هو دين الامة الوسط .

فان كان المؤمن ان يعتمد على امام الائمة مالك فى نقله وفى اجتهاده فان الامة عندها اليوم كل ما كان لمالك وكل ما كان عند ائمة السلف . والامة عندها كل ما كان للصحابة والتابعين . وعندها القرآن الكريم . وعندها من علوم القرآن الكريم كل ما كان عند الائمة كافة فى كل العصور قاطبة . حفظ الله كل نصوص دينه فى كتابه وفى سنن نبيه بايدى كلية الامة .

نحن بحمد الله نعرف مقادير الائمة ولمحترم اكثر من كل احد اقدارها . ونحن نقدر الامة حق قدرها . نراعى السلف . ولا نحتقر

عمل النبي الكريم هو الاصل الاول من الاصول الاربعة . وهو القانون الاول بين القوانين الشرعية ، اذا كان بياناً لحكم الكتاب او كان تعليماً ليقتدى به الامة . اما اذا كان عمل النبي الكريم خاصاً بالنبي الكريم ، او كان عادةً قومية للعرب في زمنه فلا يكون قانوناً عمومياً للامة . والفرق ظاهر تمام الظهور ، وان خفي على بعض الرواة ، وقد يخفى على كثير من الناس .

ويجب على الفقيه ان يكون على بصيرة وعلى بصر عند نظره في عمل النبي الكريم وفي قوله . فان الراوي يمكن ان يقع في اشتباه لسبب من الاسباب ، كما وقع من ابي هريرة رضي الله تعالى عنه في بعض رواياته وقد كان اكثر الصحابة رواية حديث وان كان متأخر الصحبة . فقد روى ان الشارع الكريم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قضى على المفطر في نهار رمضان بكفارة الظهار . الحديث صحيح . الا ان الراوي قد خفي عليه تفصيل الحادثة . فان كفارة الظهار لم تكن لافطاره متعمداً ، وانما كانت لان المفطر كان مظاهرا . فقضى عليه الشارع الكريم بكفارة الظهار لظهاره لا لافطاره . ولم يوجد في كتب السنن مفطر قضي عليه بالكفارة ولم يكن مظاهراً . وقد صرحت كتب الاحاديث ان الشارع الكريم رفع الكفارة عن المظاهر الذي افطر . وتصدق عليه بطعام ستين مسكيناً . ولم يقض على امرأته بشئ . رفع الشارع الكريم الحكيم كفارة الظهار عن المظاهر ، لان ظهاره كان عن قصد حسن ، ولم يكن منكراً من القول ولم يكن زوراً ، ولم يكن ظلماً واعتداءً على امرأته . والمذاهب الاربعة وان اتفقت في كفارة الافطار ، الا ان جماعة من كبار التابعين لم تقل بها .

والمسألة في نظري عجيبة وهي في نفسها مهمة . وقد ارقتني مدة

التى فيها صلاح المجتمع . وقد اقرها القرآن الكريم فى آياته التى تقدم بعضها وقد اقرها الشارع الكريم فى قوله الجامع : « من سَنَّ سنةً حسنةً فله اجرُها واجر من عمل بها » . وقول الله جلّ جلاله : « فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَّرَهُ » (٩٦ : ٧) لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا وعبها .

ومن عصمة الدين الحق ان ايدى الوضع لم تمس مشارع الشرع ولا مشاعر الدين بشئ ليس من الدين . فلم يوجد فى هدى النبى الكريم ولا فى سننه الثابتة ولا فى سيرة حياته النبوية موضوع . فهدى النبى الكريم وسننه وسيرة حياته النبوية بقيت عندنا وصلت الينا خالصة نقية . وان كثر الموضوع فى الاخبار والقصص المرفوعة الى النبى الكريم وضعاً .

وقد يوجد فى السلف من يسأل اليهود والنصارى عن بعض الامور . فحدث الاضطراب ووقع الاختلاف فى الاخبار والقصص . ولم يقع اضطراب فى امور تتعلق بالشرع . وثبوت الوضع فى الاخبار والقصص وكثرة الوضع فيها لا يتزلزل به كون السنة الثابتة حجة قطعية على انها اصل اول فى الدين وفى الاحكام الشرعية والاجتماعية وبايديناموازين وغرابيل بحمد الله .

والاحاديث لها اسانيد ولها متون . والائمة قد فرغوا من بحث الاسانيد تمام الفراغ . وبقى لنا كل الحق ان نبحث فى متون الاحاديث . فاذا وجدنا المتن يباين المعقول او يخالف المنقول او ينافر الاصول نحكم حكم القطع ان المتن موضوع على الرسول . هذا هو ميزان الصحة فى الاخبار يميز الخبيث من الطيب . ونحن فى غنى عن هذا الميزان فى هدى النبى الكريم وفى سننه وسيرة حياته وفى بيانه الكتاب وفى قضاياه . اذ لا يمكن ان يوجد فيها مثل هذا .

نبيها في التبليغ الى الامة . والقرن الاول في التحمل والتبليغ هم الصحابة .

وسنة السلف وسنة الاوائل اذا كان فيها معنى حكيم له فائدة اجتماعية لا ينبغي خلافها كما ان كل اصر في وضعه فائدة فان عدول الخلف لهم ان يضعوه .

والاصل في الفقه وفي شرع الاسلام ان كل شئ يترتب عليه صلاح فردا وصلاح مجتمع مشروع مطلوب . وقد قال امام الانبياء صاحب القرآن الحكيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ اَجْرُهَا وَاَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا . وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَلَهُ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا . فالسنة : ١) سنة نبوية ثابتة ، ٢) سنة وضعية وضعها حكماء الوقت لصلاح المجتمع .

والمشية الالاهية لا تتعلق بابطال سنن الله في المجتمع . ولا بابطال حكمة الله ونظامه في خلقه . والكتاب الكريم يقول : " يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوْبَ عَلَيْكُمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ " فالسنن التي فيها صلاح المجتمع ، سواء كانت سنن امم سابقة او سنن قرون سابقة في الامة الاسلامية هي هداية يريد الله ان يهدينا اليها .

امام الانبياء خاتم النبيين صاحب القرآن الكريم محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وصاحبيه وسلم ، قد امر ان يقتدي بهدى الانبياء السابقين : " اُولٰئِكَ الَّذِيْنَ هَدَى اللّٰهُ . فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ " (٦ : ٩٠) . فالهدى التي فيها صلاح المجتمع لا يتعلق بنسخها مشيئة الالهية اصلاً .

فمن قال : ان العلم ثلثة : ١) آية محكمة ، ٢) سنة قائمة ، ٣) فريضة عادلة ، فلم يستثن من قوله ستة قائمة شيأ من السنن

السنة (١١)

السنة فى اللغة وجه الشىء وظاهره .

تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس لها خال ولا ندب .

وقد قدمنا معنى : سنة الله ، سنة الاولين ، سنة النبى الكريم . واصل المعنى اول مايظهر ويبدو وعند المقابلة .

عامة آيات الكتاب الكريم فى الايمان وادب الحياة وفى الاحكام بينة مبينة ، نزلت بلسان عربى مبين . واذا ورد البيان فالاصل فى البيان قول النبى الكريم ، فعله ، واقراره . بل كل حياته وكل سيرته بيان للكتاب الكريم . « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ . »

واول البيان واصل البيان هو تبليغ ما نزل ساعة نزوله كما نزل . ثم بيان المعنى وبيان قصد القائل باقواله وافعاله وبادب حياته وسيرته وقضاياه : « يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ . والبيان فى قول الله جل جلاله : « وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . » سورة النحل (٦٤) لهم لاهل الكتاب . والذى يبين هو نفس الكتاب الكريم . لا فعل النبى الكريم ولا قوله .

وسنن الصحابة الكرام من حيث كونها اقتداء بالنبى الكريم سنن مرفوعة ، سنن قائمة ماضية . نقلها الينا عمل الصحابة والتابعين ، لا يمكن ان يكون فيها شىء موضوع اصلاً . وهذا هو الذى نريده اذا قلنا ان الامة فى تحمل الشريعة من نبيها معصومة مثل عصمة النبى فى تحمله من جبريل (عليه السلام)

والامة فى تبليغ الشريعة الاسلامية بكل نصوصها معصومة مثل

التى توجد فى اللغة العربية بطبيعة اللغة .

والوجوه الادائية لا تختلف باختلافها لاعدد الكلمات ، ولاموادها ولارسمها . ولم يقع بين الصحابة اختلاف الا بالوجوه الادائية .

وبعون الله الكريم وبفضل الله العظيم كتبت كتاب ترتيب السور الكريمة وكتاب حروف اوائل السور وفيهما فى حقائق مسائل الكتاب الكريم بيان يحبوبه اهل الرغبة من كرام الطلبة من الحيرة والاوهام .

) والامة لها ان تستغنى بكتابها الكريم عن كل شئ ، اذا اخذ ابناؤها وافر حظوظها من المعارف العمومية الطبيعية الرياضية الاجتماعية فان من ليس له حظ من هذه العلوم ففهمه معانى الكتاب الكريم ضعيف معدوم .

) من اعظم نعم الله على الامة فى كتابه الكريم ومن اجل محاسن الكتاب الكريم حفظ كما نزل . وفيه كل ما يحتاج اليه كل احد فى حياته . وفيه كل ما يحتاج اليه كل عالم فى كل مسألة .

وكان النبى الكريم صلى الله عليه واله وسلم يستنبط سننه من القرآن الكريم . ومن اسلوب الكتاب الكريم ان يأتى بمثال جزئى لامر كلى وينبه على الاستنباط من المثال .

مثل قوله : « وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » ـ « وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ » (٢ : ٢٣١) الكتاب هو القانون . والحكمة هى المصلحة .

نحن من بين الامم لا نعرف من كتابنا القديم العظيم الا القليل . قل عندنا اليوم من صحت عزيمته على النظر الى القرآن الكريم وفى القرآن الكريم نظر علماء الغرب الى ادب اليونان والرومان والى ادب العالم القديم .

فى كل سورة معلوم . كان النبى الكريم يعدها عداً . وكان الصحابة يعدونها عداً . ولم يقع اختلاف فى العدد الا فى بعض الفواصل .

وعدد الآيات فى العد البصرى = ٦٢٠٤

..... فى عد الكوفى = ٦٢٣٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ كلام الله قطعاً . البسملة فى اول كل سورة كانت تنزل بنزول السورة ، آية كاملة فذة مستقلة ولم تنزل فى اول براءة . فالبسامل فى الكتاب الكريم = ١١٣ . وبسملة الفاتحة من الفاتحة . فالبسامل الفذة = ١١٢ .

فآيات الكتاب الكريم = ٦٣٤٨ فى العد الكوفى .

وللناس فى مسألة البسملة اوهام . بثها واشاعتها كتب المذاهب فى شروحها وحواشيها . ولاينبغى بعد اليوم اقرارها اصلاً .

والمعتمد فى مثل هذه المسائل هى المصاحف . وقد اجمعت المصاحف على اثبات البسامل . كتبت البسامل فى المصاحف : ١) بقلم الآيات ، ٢) بحبر الآيات ، ٣) فى فضاء بين السورتين ، ٤) فى سطر على حدة . فالبسملة فى اول كل سورة آية كاملة ، مستقلة فذة . هى من القرآن الكريم . اجمعت الأمة على انها ليست جزءاً من السورة . لم تنزل فى اول سورة التوبة . ليكون عدد البسامل فى الكتاب الكريم على قدر عدد سور القرآن الكريم . فان سورة النمل فى اولها وفى قلبها بسملة .

) الكتاب الكريم نزل بلسان عربى مبين . واللغة العربية لها بطبيعتها وجوه ادائية بين لغوية صرفية نحوية . والفصيح من هذه الوجوه الادائية نزل عليه القرآن الكريم . وثبت ثبوتاً لاريب فيه : « ان القرآن انزل على سبعة احرف . فاقرؤوا ماتيسر منه » متفق عليه والاحرف السبعة التى انزل عليها القرآن الكريم هى لوجوه الادائية

الى الامة العربية . ورسالة القرآن الكريم تعم جميع البشر .

روى الامام مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال : ما من نبي الا قد اوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر . وكان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي . فارجو ان اكون اكثر الانبياء تابعا يوم القيامة .

" وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ رُوْحًا مِّنْ اَمْرِنَا " سورة الشورى (٥١:٥٣) فالوحي والكتاب الكريم روح من الله يحيي الامم قلوبها وعقولها ، يهديها الى صلاحها وسعادتها في الدنيا وفي الحياة الابدية .

فجهة البلاغة في نظمه وروح الاحياء والهداية في علومه وفي معانيه كل واحد منهما وجه من وجوه اعجازه .

وبلاغة النظم في كون بيانه جامعا محيطا لايكون فيه غفلة وقصور . لابمجرد الوجوه الابتدائية (البدوية) التي في كتب البلاغة وكتب البديع . ومن وجوه الاعجاز في عقيدتي : ان البلاغة الاعجازية تكشف عن حقائق قد غفلت عنها عقول البشر في دوام العصور .

والكتاب الكريم قد فصله الخبير الحكيم على سوره : كِتَابٌ اُحْكِمَتْ اٰيَاتُهٗ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَّدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ . " (١١ : ١)

سور الكتاب الكريم = ١١٤ : ١) قصار ، ٢) مئان ، ٣) مئون ، ٤) طوال . على حسب عدد آياتها . وكل سورة لها اسم .

وللسور ترتيب في نزولها . وهذا الترتيب كان بعلم الله وارادته وكان الصحابة يشاهده في مدة نزولها . ترتيب النزول هو الاول والاثبت .

وللسور ترتيب في المصاحف . كان بالوحي من الله ، وبالتوقيف من روح القدس ، وبالامر من النبي الكريم . فلم يكن في ترتيب المصاحف اختلاف بين الصحابة الكرام .

وكل سورة باعتبار فواصلها فصلت على آياتها . وعدد الآيات

وحدوث ماحدث لم يناف قدم القديم .

والقرآن الكريم علم الله كلام الله اوحاه الله الى عبده محمد وتلاه عليه بكلام مسموع الفه الله فى غيب ذاته : معانيه من الله ، ونظمه وتأليفه من الله .

« لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » (٧٥ : ١٦)

« كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ . وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا . » (٢٥ : ٣٢)

القراءة والتلاوة والتنزيل من الله .

« تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ » (٢ : ٢٥٢)

كل هذه الآيات الكريمة وآيات ترادف هذه الآيات الكريمة نصوص عبارة على ان القرآن الكريم كلام الله نظمه وتأليفه من الله .

القرآن الكريم معجز : « قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » والقرآن الكريم هو الروح الذى قال الله جل جلاله فيه : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ . قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي . وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » (١٧ : ٨٥)

واذا اسند السؤال الى ضمير الغائب المعلوم للمخاطب فالروح فى الآية يحتمل ان يكون روح الحياة ، وان يكون الروح الاعظم روح القدس ، وان يكون القرآن الكريم . والجواب حق حكيم لكل السؤالات الثلاثة .

ولاهل العلم فى وجوه اعجاز القرآن الكريم افادات كلها حقة ، على طبقات بعضها فوق بعض . أَمَّا أَنَا فانى ارفع شأن الكتاب الكريم من ان اقيس بلاغته بمقياس بلاغة شعراء جاهلية العرب . حتى لو ثبت بمقياس بلاغة شعراء العرب وبلاغة خطبائها كون الكتاب الكريم على نهاية البلاغة فلا يكون البلاغة الا وجهاً من وجوه الاعجاز ، بالنسبة

كلام الله الذى تجلى فيها . ولله جل جلاله ان يتجلى بما شآء وكيف شآء ومتى شآء . والله فى كل تجلياته منزه عن آثار المظاهر . وهو فى غاية تعاليه قريب . لا تقيده المظاهر . له الاطلاق . بل هو اجل واعلى عن قيد الاطلاق .

مسألة خلق القرآن الكريم بدعة كاذبة خاطئة وفتنة جاهلة ظالمة طاغية . حدثت بطغوى فئة مفسدة زمن الخلافة العباسية . امتحن فيها كبار الائمة وجلد جلدا اهانة وجلدا احتقارا امام الائمة وامام الحق احمد بن حنبل .

نحن نقول ، قول اهل العلم واهل الحق واهل العقل : ان القرآن الكريم كلام الله جل جلاله قديم ، مثل قدم علمه وقدرته وكل اسمائه ، غير مخلوق كما ان علمه جل جلاله غير مخلوق . وكلام الله متلو بالسنتنا ، مسموع باذاننا ، محفوظ فى صدورنا مكتوب فى مصاحفنا . غير حال فى شئ من هذه الاربعة . وتنزل القرآن الكريم ، هو علم الله وكلام الله فى تلك المظاهر لا يقدح فى قدمه . لكونه غير حال فى شئ منها . وتجلى القديم فى مظهر حادث لا ينافى قدمه ولا ينافى كمال تنزهه . والقرآن الكريم علم الله وكلام الله . ومعنى تنزيله ومعنى انزاله اظهار صورة فى لمرايا الروحانية العقلية الحسية . وظهور صورة شئ فى مرآة من لمرايا لا يغير هذا الشئ ، ولا يؤثر فيه بوجه من الوجوه . وحال الصورة يؤثر فى ذى الصورة .

والله جل جلاله اذ نادى موسى : « إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى . » (٧٩ : ١٦) (٢٨ : ٣٠) ناداه بصوت مسموع حادث ، بحرف مسموع حادث . سمعهما موسى من الله جل جلاله الذى تجلى له بنوره ، مظهر النار ، وكلمه بلا واسطة من وراء حجاب النار .

مؤلفة مترتبة مكتوبة على الصحف كلها موجودة فى آن وفى كل آن.

والقرآن الكريم قرآن كريم كلام الله وهو فى علم الله المحيط القديم: " وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ". والقرآن الكريم كلام إلاهى كلمات إلاهية وقد نزل به الروح الامين على قلب محمد. والقرآن الكريم كلام الهى كلمات إلاهية اذ حفظه انسان. " بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ". والقرآن الكريم كلام إلاهى كلمات إلاهية مسموعة اذ يتلوه احد. " قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ". " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا " والقرآن الكريم قرآن كريم كلام الله كلام إلهى مكتوب، وهو فى المصاحف والصحف والالواح " بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ " - " فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ " - " إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ".

والقرآن الكريم: ١) فى علم الله، ٢) فى ام الكتاب لدى الله ٣) فى قلب الروح الامين وفى لسانه، ٤) وفى قلب النبى الكريم وفى لسانه العربى، ٥) فى صدور الذين اوتوا العلم، ٦) فى الصحف والالواح والمصاحف، فى كل هذه المراتب الست كلام الله. حقيقة لغوية من غير تجوز اصلاً. حقيقة شرعية بكل محكمات القرآن الكريم.

وخلاف ذلك، وان وجد فى كتب الاصول وكتب الكلام، لاريب انه وهم من الاهام. اثر تشكيكات وهمية.

وكلام الله الذى اخترق كل حجب الكون وتجلى فى هذه المظاهر لايتأثر من اثر هذه المظاهر، باقياً على اطلاقه وعلى اعلى تعاليه. فان حدوث المظهر لايوجب حدوث الظاهر. والصوت المسموع باذاننا والكلمات المتلوة بالسنتنا وان كانت حادثة لايوجب حدوث

وحاق بهما ما كانت تستهزئ به .

المصحف الكريم اشهر كتاب في العالمين . تعريفه هو الاشارة اليه . وكل ما في هذا المصحف الكريم هو القرآن الكريم كلام الله رب العالمين تلقاه النبي العظيم محمد من لدن حكيم عليم . هو الكتاب الذي نزل به الروح الامين على قلب محمد تنزيل من رب العالمين . تلقاه النبي محمد من لدن حكيم عليم وحفظه . وتلقاه الصحابة الكرام من النبي الكريم وحفظوه وكتبوه .

القرآن كلام الله . كل القرآن الكريم ، وسورة من القرآن الكريم وآية من آيات القرآن الكريم كلام . حقيقة لغوية وحقيقة شرعية وحقيقة علمية . سمي قرآناً لانه قد جمع كل كتاب نزل قبله على رسول من الرسل وسمي فرقاناً . والفرقان كتاب بنوره يمتاز الباطل عن الحق ، ويمتاز الشر عن الخير ، ويمتاز الفاسد من الصلاح .

ولكل متكلم في كلامه امور :

١) المبدأ النفسي للكلام . وصف للانسان مثل كون العلم والارادة والقدرة وصفاته . ٢) المعاني . هي معلومات المتكلم ومقاصده التي يريد ان يفيدها الآخر . ٣) كلمات ذهنية مخيلة يتخيرها ويرتبها . ويقال لها حديث النفس . ٤) اذا اخذ الانسان يتكلم يأتي بكلمات لفظية مسموعة ، يسمعها هو ويسمعها المخاطب .

هذه الامور الاربعة يجدها كل انسان في نفسه ، ويشاهدها عند الكلام لله جل جلاله علوم ومعلومات يوحيها الى عبد من عباده . والايحاء والتلاوة كلام .

فلله جل جلاله في ذاته من ذاته مبدأ ذاتي لكلام الله . وكلام الله كلمات ازلية غيبية مؤلفة مترتبة لكنها غير متعاقبة . مثل كلمات

على النبي العظيم، والغاية الإلاهية هي الامة .

الكتاب الكريم كلية الشريعة ، عمدة الامة ، ينبوع الحكمة ، نور العقل هذا الفكر ، " وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا " الحكمة هي معاني القرآن الكريم .

آيات الكتاب الكريم كلها : ١) قطعية ، ٢) توافق حكم العقل ، ٣) توافق مصلحة الامم ، ٤) كلها عامة ، لم يطرأ على عمومها تخصيص ، ٥) كلها معقولة يقبلها كل احد ، ٦) كلها سهلة يفهمها كل امي ، ٧) محكمة ثابتة راسية ، لا زوال لها ، ٨) آيات المصاحف لم ينسخ منها شئ ، حكمها باقٍ ببقاء نور الشمس في السماء ، ٩) الآيات كلها حاكمة تفيد الحكم وتوجب العمل ، ١٠) براهين عقلية في المسائل النظرية ، براهين اجتماعية في الاجتماعيات . وتعاليم تكاليف في الامور الادبية والشرعية ، ادلة قاطعة في ايجاب الحكم على الامة ، ١١) كلها واضحة جلية ، ليس في بيان الآيات ابهام وليس فيه اشتباه . ١٢) والله جل جلاله نزه كتابه الكريم من كل باطل ، ومن امكان ان يكون قول الله في كتابه الكريم يناقض فعل الله وحكمة الله في خلقه ؛ ونزه كتابه الكريم المبين من سوء البيان ومن الغفلة والنسيان .

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ " . " وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ . تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " .

ونحن ننزه شرف الكتاب الكريم : ١) من القول بالتوقف في اتباع ظاهر الكلام ، ٢) من القول بالتوقف في وجوب الحكم ، ٣) من القول بالتوقف في فور الوجوب ، ٤) من القول بالتوقف في عموم الكلام ، ٥) من القول بصرف الكلام عن ظاهره الى تأويل . فان كل هذه الخمس الاخيرة كيد في الدين من مذاهب الكلام التي فرحت بما عندها من الاوهام .

ومن يزعم ويتوهم ان النبي الكريم كان اجهل من اهل المدينة، وكان لايفهم حق الفهم آيات الكتاب الكريم ولايفهم معانى كلماتها فقد تهود باغتراره وتقدم بين يدى الله ورسوله ورفع صوته فوق صوت النبي فى تجهيله .

٣) اقطع لاحد من الناس المعدن العد للاحياء . واذ تبين ان المعدن لايحتاج الى احياء، تركه يشترك فيه الناس .

اصول ادلة الشرع

المشهور المعروف من قول ائمة الفقه ان اصول الادلة فى الاسلام اربعة : ١) الكتاب، ٢) السنة ، ٣) الاجماع ، ٤) اجتهاد الائمة بالاستنباط والقياس . والآن بعون الله جل جلاله نبين ان شاء الله كل هذه الاصول الاربعة بايجاز وافٍ وباجمال يهدى ان شاء الله اهل الرغبة من كرام الطلبة الى التفصيل . ثم نبين ان شاء الله سائر الادلة التى جعنها كتب الاصول من فروع الادلة . وسيرى الطالب فى الكتاب من هدى الله مزيداً ان شاء الله .

الكتاب الكريم القرآن العظيم (٩)

القرآن الكريم هو اصل الرسالة وبرهان الرسالة ، توفى الله نبيه اليه، وبقيت رسالة الاسلام الى يوم القيام تحمله الامة الكريمة ، ببقاء الكتاب الكريم . والامة الكريمة خليفة نبيها الكريم فى تبليغ الرسالة الى كل الامم . ولاينبغي لاحد ان يكون فى قلبه توهم انقطاع الرسالة ، والرسالة باقية ظاهرة ببقاء الكتاب الكريم .

« إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ » نزل الكتاب الكريم

ورأياً على سبيل الارشاد .

وحكم الشارع الحكيم على سبيل الارشاد اذا كان في بعض ضيق لبعض الناس من جهة الطبيعة فالشارع الكريم يتوب من ايجاب ارشاد ويخلي هذا البعض . شاهده في الكتاب الكريم : « عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ . فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ . (٢ : ١٨٧) فان الصيام عن النساء في شهر رمضان فيه تقوية للقوى البدنية ، وفيه تحسين للنسل . ولذا سمى الكتاب الكريم خلاف هذا الارشاد بالاختيان . واقر حكمة هذا الارشاد في البعض فقال : « وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ » . فهذه الآية الكريمة الحكيمة فيها رفع حرج ورفع ضيق عن الطبيعة . وفيها ارشاد حكيم للعقل الى مصلحة الصحة والقوة

٢) منها النهي عن تأبير نخل المدينة . واذ ظر بعد مدة وحين خلل وفساد في النخل تاب ورجع . والنهي كان لمصلحة الايمان . لتعليم ان الاسباب كلها جارية على السنن الالاهية على العادة . فان الاسباب اسباب عادية . والمبدأ الاول والسبب الاصلي هو حكم الله الكريم جل جلاله . وهذا معنى قول الشارع الحكيم : « انتم اعلم بامور دنياكم » تركهم وخلاهم يعلمون بالسنن الالاهية ، بعد ان ارشدهم الى حق العقيدة والى اصل الايمان : ان كل شئ في الكون الى الله ومن الله : « جَمِيعًا مِنْهُ » وان جميع ما في الكون منه ابتداء وان الاسباب كلها جارية على العادة .

والنبي الكريم كان يعلم كل القرآن الكريم بتعليم الله : « أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ » (٢٦ : ٧) . « سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ . » (٣٦ : ٢٩) وكان يعلم ان التلقيح من السنن الالاهية

والتابعين تقليدا لينا على الصحابة وعمل التابعين . فريضة عادلة هي علم القضاء . يدخل فيها قضايا الامام الفاروق وقضايا الصحابة في حوادث قد وقعت .

وللقاضي الحكيم ان يعمل في قضائه برأيه . الرأى في الدين و في الافتاء تحريف . اما في القضاء فالرأى حسنة ومكرمة وحكمة . وهو الفهم الذى اوتيه سليمان ، لا داوود : "إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ" (٢١ : ٧٨)

والقاضي من الصحابة الكرام كان يحكم برأيه ويقضي برأيه : بما يراه حقاً باجتهاده . روى المبسوط (٣٠ : ٢) عن الامام خليفة رسول الله الصديق : "انى لم اسمع من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، في توريث ذوى الارحام شيئاً . ولكنى ورثتهم برأيي . والرأى كان في القضاء العصمة "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا . (٤ : ١٠٥)

بما اراك الله : ١) بالوحى ، ٢) باجتهاد جارٍ على سنن الوحى في لايكون رأى النبى خطأ . ولو وقع خطأ فالنبى لايقر عليه . "وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ" . فكان النبى الكريم يصابر وينتظر . ثم يحكم باجتهاده .

وقد وقع من النبى الكريم الحكيم العظيم هم ورأى في امور اراد ها ثم تركها اذ لم يكن في حكم وقضاء :

١) منها الغيلة . في الحديث : لقد هممت ان انهى عن الغيلة . حتى ذكرت ان الروم والفرس يصنعون ذلك . ولا يضر اولادهم . اعتمد على تجربة الناس وترك همه . وهذا الهم من النبى الحكيم كان اهتداءً نبوياً فيه صلاح عظيم . فان ام الرضيع تحمل ويفسد اللبن بالحمل ويتأذى الرضيع ، وتضعف الام بتواتر الحمل ، وفيه فساد النسل . وكان هما

بعثة الرسل. والكتاب بيد الرسول يكون تأييد الما فى قلب الانسان و لما فى عقله. وفى لامة من امثال هؤلاء رجال. منهم الصديق والفاروق
" وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ "
قد كان فى عقل الانسان ونور عقله وسلامة طبعه كفاية
ثم فى الرسول وحده كفاية، وفى كتابه كفاية. جمع الله الكل فهدى الانسان بعقله ورسله وبكتبه. ليكون حجة الله بالغة، وعلم الانسان اوسع.
" قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي. أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي " (١٢ : ١٠٨)
" هذه سبيلى وسبيل من اتبعنى "
" ادعو الى الله انا ويدعو من اتبعنى. "
" على بصيرة انا وعلى بصيرة من اتبعنى "
هذه الآية الكريمة تفيد هذه الجمل الثلاث افادة واحدة على حد سواء. والتاكيد بالضمير المنفصل قبيل العطف يهدينا الى ذلك.
ومثل هذا فى الكتاب الكريم قول الله: " فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ( ) " فاستقم كما امرت ومن تاب معك. "
" فادع انت، وليدع من تاب معك "
" واستقم انت وليستقم من تاب معك "
" كما امرت انت " وكما امر من تاب معك "
والعقل المستقيم للعالم الحكيم هو المقياس الحق لكل شئ.
العلم ثلثة. وما سوى ذلك فضل (من الفضيلة) آية محكمة، سنة ماضية، فريضة عادلة. آيه محكمة هى علم معانى القرآن الكريم. سنة ماضية من النبى الكريم قائمة اتفق عليها الجمهور الصحيح

ولم يأت فى الكتاب الكريم حرف يعارض العقل .

علم القلب السليم وحكم العقل الصحيح الصريح اعتبره الكتاب الكريم فى شهادة التوحيد وفى شهادة الوجود :

شَهِدَ اللّٰهُ اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَاُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ ،

جعل شهادة اهل العلم فى درجة شهادة الله . وجعل شهادة الله (٣ : ١٨) فى وحدة الله وفى وجوده اقامة للقسط .

قد يكون ان الانسان بنور عقله وبشهادة قلبه يطلع على اصول الشرائع قبل بعثة الرسل . ونزول القرآن الكريم يكون تفصيلاً لمجملها فى قلبه وما فى عقله .

« اَفَمَنْ كَانَ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّهٖ وَيَتْلُوْهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهٖ كِتٰبُ مُوْسٰٓى اِمَامًا وَّرَحْمَةً . » . والبينة من الله هى الذى نسميه وجدان الانسان ونسميه ضمير الانسان . هو مبدأ الاهى سمى ينابيع عقل الانسان فى غالب الاحيان يجده كل انسان فى قلبه . وارادة الانسان الحرة قد توافقه وتنفذه ، وقد تخالفه . فكل انسان يحمل فى نفسه قانوناً ومحكمة تحكم بالبراءة او بالادانة . فان كان قلب الانسان سليماً يحصل فى قلبه الرضى الجميل ان كان عمل خيراً ، ويحصل فى قلبه الندم الثقيل ان كان عمل شراً . وهذا الذى يجده الانسان فى نفسه اوضح من كل بينة واعجب من كل ما يعجبنا . « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَّلَا بَنُوْنَ . اِلَّا مَنْ اَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ . »

« وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطٰنَ اِلَّا قَلِيْلًا » (٤ : ٨٣)

كون الانسان على بينة من ربه « قبل نزول القرآن ، ثم فعلية الاستثناء من اتباع الشيطان لولم ينزل الكتاب الكريم بيان جليل جلى جميل واضح ان الانسان بنور عقله قد يطلع على اصول الشرائع قبل

او يعتقده . ولا يكلف البرهان من يعتقد الحق .

« أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً . قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ . »

وحيث ان الكريم لا يؤاخذ احداً بمخالفة دليل العقل لذلك اشار وقال :

« هٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي . »

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ » (٢٢ : ٨ ، ٣١ : ٢٠)

١) بغير علم اتاه من الله على لسان احد اصفيائه . سواء كان حقاً او كان كذباً وضع على لسانه . ٢) ولا هدى ارشده اليه عقله . اعم من ان يكون بضرورة او باستدلال . ٣) ولا كتاب منير ، صح لديه انه من الله .

٢) بغير علم هو العلم الضروري ، ولا هدى هو العلم النظري ، ولا كتاب منير . هو الكتاب الكريم في امتنا .

٣) بغير علم من نقل او عقل ، ولا هدى يهتدي الانسان به الى الصواب . ولا كتاب منير انزله الله .

« جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ . » (٣ : ١٨٤)

البينات هي البراهين القطعية . والبينة في عرف القرآن الكريم ما ظهر برهانه في الطبع والعلم والعقل .

الزبر كتاب المواعظ ـ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ .

الكتاب المنير ـ كتاب القانون والشريعة في الاجتماعيات وفي الآداب .

الادلة المذكورة في هذه الآيات الكريمة كلها معتبرة في شرع الاسلام . والنقل مثل دليل العقل يفيد القطع واليقين . والانسان يحتاج الى دليل النقل في توسيع علومه فقط . لا في رد العقل . ونحن لا نرد اصلاً ابداً العقل ودليل العقل بالنقل ، ولا نرد اصلاً النقل بالعقل .

منتج . وادراك الجزئى لاينتج . والباصرة لاتدرك الا السطوح والا
والعاقلة تدرك ظاهر الاشياء وباطنها . القوة العاقلة يعلم الله ،
والظاهرة تعلم الالوان . منزلة آيات القرآن منزلة نور الشمس
ونور العقل يشبه نور العين . « فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ . وَالنُّورِ الَّذِي
أَنْزَلْنَا . »

والقوى المدركة كلها انوار من الله . ومراتب القوى المدركة
خمس : ١) الحساسة . هى التى تتلقى ما تورده الحواس الخمس . وكانها
اصل الروح الحيوانى . بها يصير الحيوان حيوانًا . وهى موجودة للصبى
وللرضيع . ٢) القوة الخيالية . هى التى تثبت ما اوردته الحواس
وتحفظه عندها . لتعرضها على القوة العاقلة عند احتياجها اليه . —
٣) القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية . ٤) القوة الفكرية هى
التى تأخذ المعارف العقلية ، وتؤلفها تأليفاً تستنتج منه علماً بالمجهول .
٥) القوة القدسية . تتجلى بها لوائح الغيب واسرار الملكوت . لعلها
هى المراد بقول الله : « وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا . »

عقدت « باب العلم واسبابه » تمهيدًا لبيان الادلة . فان الدليل
هو ما يوصل فكر الانسان الى العلم التصديقى . والعلم يحصل بالاحساس
٢) بالعقل ، ٣) بمقدمات راجعة اليه . مهدت ذلك ليكون الطالب
الراغب على حفظ واستعداد فى فهم المسألة .

الادلة فى شرع الاسلام (٨)

من سعة الاسلام ومن عظيم احترامه للانسان ولايمانه ان الانسان
اذا ما اعتقد الحق واطمأن به قلبه فان الكتاب الكريم لايطالبه ببرهان
فى اثبات عقيدته الحقة . وانما يكلف البرهان من يدعى الباطل

حجاب . اَوْ يُرْسِلَ رَسُوْلًا فَيُوْحِيَ بِاِذْنِهٖ مَا يَشَآءُ .
رَفِيْعُ الدَّرَجٰتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوْحَ مِنْ اَمْرِهٖ عَلٰى مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ .

يلقي الروح : ١) روح الرسالة والنبوة . ٢) روح الكشف ، ٣) روح الحياة .

نعلم وندرك الاشياء : ١) بالاحساس ، ٢) وبالاستدلال . يعلم وجودها بآثارها . ولا تدركها الحواس . واكثر معلومات الانسان واقواها يعلم بالاستدلال ، لا بالاحساس . ومثاله الضروري القطعي هذه الحواس انفسها والقوة والقدرة والعلم والارادة بل اكثر احوالنا الروحية . من كتب بين يديك عرفت اقتداره على الكتابة وعرفت علمه بنوع من الكتابة ، وجزمت بارادته . كل ذلك بالاستدلال . واكثر الموجودات والحقائق معلوم بالاستدلال عليها بآثارها لا بالاحساس . والعلم بالاحساس التخييل وان كان محققاً الا ان العلم بالاستدلال احق واثبت واجمع وانفع . ويظن كثير ان العلم احساس وتخييل . وان ما لا يتخيل فلا حقيقة له " وَجَعَلْنَا لَهٗ نُوْرًا نَّهْدِيْ بِهٖ مَنْ نَّشَآءُ . " نوراً به الادراك . والنور الخارجي لا يدرك ، ليس بمدرك وليس به الادراك بل عنده الادراك .

النور الباصر احق بالاظهار من النور المبصر . والانسان له بصر وله بصيرة . فالبصر هو العين الباصرة . والبصيرة هي القوة العاقلة . وكل واحد من الادراكين يقتضي نورا . ونور العقل اشد واقوى من نور العين . لان القوة الباصرة لا تدرك ولا تدرك ادراكها وآلاتها . والقوة العاقلة تدرك نفسها . فنور العقل اكمل من نور البصر .

العاقلة تدرك الكليات ، والباصرة لا تدركها . وادراك العقل

قد كان في حكم العقل والطبع كفاية . ثم في الرسول وحده كفاية وفي الكتاب معه كفاية . جمع الله الكل فهدى الانسان بعقله ورسله وكتبه . لتكون حجة الله بالغة . وعلم الانسان اوسع .

وللانسان خيال . وكان خياله يسبق عقله بعصور . فقد كان الخيال يصور للانسان اموراً لم يكن عقله يقبلها . نراها اليوم قد وقعت والنبوة قد جاءت للانسان بايمان ، يسبق العقل والخيال بدهور . وكل ما جاء به الايمان من الحقائق التي لا يقبلها العقل اليوم فان العقل بعد قريب من الزمن سيتعلمها علم اليقين .

« إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا . »

والانسان يعلم بعقله . وحيث ان علم الانسان جزئي محدود يحتاج في توسيع علمه الى النقل .

فالنقل معتبر في توسيع العلوم فقط . ولا نرد اصلاً العقل ودليل العقل بالنقل . ولا نرد اصلاً ابداً النقل بالعقل وبدليله . واكثر الفرق ضلالاً عندنا من يبطل العقل ودليل العقل بالنقل بدعوى التعارض . ودعوى التعارض وهم . واشد الفرق غروراً من يستدرك على الله اشياء مدعياً ان الله لم يحكم فيها بشيء . واشد الفرق اباءً واستكباراً من يتحكم عند الله بعقله فيوجب عليه او على عباده بعقله احكاماً لم يات النقل فيها بشيء . للعقل ان يدرك كل شيء وليس له ان يحكم على آخر بشيء .

بَيَّنَّا العلم واسبابه . واعلى اسباب العلم واصل اسبابه : تعليم الله جل جلاله . « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا . » - « عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »

والله جعل لعلم الانسان اسباباً وطرقاً : ١) العقل ، ٢) الاحساس. ومنها الوحي من الله : « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ

والكشف والوحى والالهام اوسعها احاطة واقواها افادة واحقها واصدقها مطابقة لنفس الامر وللواقع . فان الغيب خزانة لعلوم غير متناهية . فمن كان ذا اتصال قوى يمكن منه تلقى علوم لايكاد يدرك شأوها . فان الكشف والوحى والالهام من الله جل جلاله .

واكثر الاشياء بركة للانسان فى حياته وفكره وعلمه الكشف لربط الكشف لاحد من اهل العلم بعد طول الاجتهاد ، او بنفحة الاهية اثناء التفكر .

والعقل يفيد القطع بالبرهان . والنقل فى الخبر المتواتر يفيد القطع بالضرورة . والنقل فى الخبر المعصوم سفيد للقطع . والسنة مثل الآية تفيد القطع . وما فى كتب اصول الفقه وكتب الكلام مجرد تشكيك . لايتزلزل به قطعية الافادة . وكل احتمال ليس له دليل يوجبه ، وهم مردود .

والكشف والالهام يفيد القطع . بل الكشف والالهام فوق العقل فى الافادة . لانه من الله . « يَهْدِى اللّٰهُ لِنُوْرِهٖ مَنْ يَّشَآءُ » .

وما كان يعلمه لقمان فى حكمته ، وسقراط فى فلسفته ، وبقراط فى طبه ، وارشميد فى رياضياته ، وفيثاغورث فى اسراره والاهياته فاهم ما كان لهؤلاء الاساطين ولمن بعدهم من اهل العلم كان الهاما وكشفا من من الله . ببركة التعلم بعد طول الاجتهاد . وفطرة هؤلاء الكرام كانت مستعدة متوجهة الى الله . وكانوا اصحاب قوة قدسية .

والبينة فى عرف القرآن الكريم ما ظهر برهانه فى الطبع والعلم والعقل . والشارع الكريم الحكيم فى آيات الكتاب الكريم قد اكتفى بدعوة الضرورة . فلم ينزل فيها آية آمرة واكتفى بوازع الطبيعة فلم ينزل فيها آية ناهية . فدل هذا الاكتفاء على ان حكم الضرورة وحكم الطبع والعقل كاف مغن معتبر .

الا اذا فتح للانسان باب الاستقاء من انهار الله ، وباب الاستفاضة من خزائن الله .

وهذا ، اى الاستقاء من انهار الله ، والاستفاضة من خزائن الله والاستضاءة من انوار الله هو المقصد النهائى من دعوة الاسلام . "لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ . " ـ " نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ . وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ "

فلا يكون لانسان مشيئة نافذة وارادة مطلقة الا اذا كانت من وجه الله . نزلاً من عند الله . وذلك هو الفوز العظيم .

للانسان فى وصوله الى العلم ثلثة طرق : ١) الاخذ من محسوس باحدى حواسه . ٢) الانتقال من المعلوم الى المجهول . ٣) التلقى من خزائن الغيب .

اما الاخذ من المحسوس فان كان بصورة جزئية والمحسوس حاضر فاحساس : رؤية ، سمع ، لمس ، شم ، ذوق . وبعد غيبة المحسوس تخيل . وان كان بصورة كلية فتعقل . القضية المنعقدة من الصور العقلية المأخوذة من المحسوسات تسمى بديهية . والانتقال من المعلوم الى المجهول ان كان تدريجاً فنظر وفكر . وان كان الانتقال دفعياً فحدس . والتلقى من خزائن الغيب : ١) كشف ، وعبر عنه القرآن الكريم بالاظهار : " فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا " (٧٢ : ٢٦) ووحى والهام ووجدان .

فالمعتبر والمعتد به فى مسائل العلوم من طرق العلم ثلثة : التعقل وهو الانتقال من معلوم الى مجهول . ٢) النقل ، ٣) الكشف .

والتعقل اعم هذه الثلاثة فى احتياج الناس اليه . ولا يتم شئ ولا يتيسر حصول شئ لانسان الا به .

والنقل احكمها افادة وايسرها حصولاً لكل احد .

فى ذهنه فالانسان لايعلمه . وَمَآ اُوْتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ اِلَّا قَلِيلاً ". وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ." لا علم للانسان من ذاته . ثم لايتعلق علم الانسان الا بمثال الشئ وصورته . لا على عين الشئ وحقيقته .

قلنا ان علم الانسان جزئى محدود فى جميع جهاته . اما علم الله جل جلاله فكلى فى جميع جهاته ، مطلق لايتوقف على شئ ، فِعْلِيٌّ يكون مبدأً لانكشاف الاشياء ولوجودها . كامل محيط يعلم من كل شئ حقيقته وجميع ماله من الاعراض والاوصاف . وعلم الله متعال عن الجزئية . والله جل جلاله يعلم كل شئ : " عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمٰوٰتِ وَلَا فِى الْاَرْضِ وَلَآ اَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلَآ اَكْبَرَ اِلَّا فِى كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ .

وهذه المسئلة ، وان كانت فى بادى الرأى سهلة ، قد تعبت فيها عقول . ووهمت عقول كبار اهل العلم . حتى نسبوا الى اساطين الحكمة واركان الفلسفة انكار علم الله بالجزئيات . ولم ينج من الوهم امام الفقهاء صاحب الاحياء تلميذ الصوفية الامام المجتهد الغزالى . اذ اكفر وكفر الفلاسفة فى مسائل ، منها انكار علم الله بالجزئيات . وهذا وهم . لان الله لو لم يعلم الجزئيات لما امكن ان يعلم انسان شيأ اصلاً ابداً . لان علم الانسان فيض من فيوضات علم الله ، وظل ضئيل من ظلال علم الله .

لم ينكر حكيم فيلسوف الا جزئية علم الله لا علم الجزئيات .

ولصاحب الاحياء فى اكفاره الفلاسفة اوهام .

وكما ان علم الانسان جزئى محدود ، كذلك كل ما للانسان من كمال وقوة جزئى محدود مثل علمه جزئى محدود . " وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيْفًا " فى كل شئ . فارادة الانسان وقدرته ، بل كل خواصه وحواسه جزئية محدودة . " وَمَا تَشَآءُوْنَ اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ اللّٰهُ " . " وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ ." فليس للانسان شئ من ذاته .

والقلب مركز لكل الحواس . وكل حاسة تؤدى محسوساتها اولاً الى حاسة القلب . وحاسة القلب تؤديها الى الدماغ . ولو تعطلت حاسة القلب او بطلت لبطلت كل الحواس . يقول القرآن الكريم . « فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ . » فتنتهي كل الحواس الى القلب . عنده محطها ومقرها .

والروح تحمل هذا البدن . وتحمل كل هذه الحواس وكل هذه القوى والروح باعتبار اضافتها الى محل حكمٌ واسمٌ يخصها هناك . اذا اضيفت الروح الى محل البصر سميت بصراً . واذا اضيفت الى محل العقل وهو القلب سميت قلباً . وهي في كل ذلك روح . فالقوة الباصرة والعاقلة والسامعة والناطقة روح باصرة وسامعة وعاقلة وناطقة . هي في الحقيقة هذا العاقل المدرك المحب العارف المحرك للبدن . يعبر كل انسان عنها بقوله : انا .

وعلم الانسان بعقله او بحواسه جزئي بكل معانيه . لان العلم في الانسان ليس عين ذاته ولا من ذاته ولا لذاته . « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا . وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ . » يحتاج الانسان في علمه الى آلات واسباب وشروط والى حصول صورة ما يعلمه في ذهنه .

واذ لم يكن علم الانسان من ذاته وكان يحتاج في علمه الى هذه الاربعة فعلم الانسان جزئي من جهات : ١) جزئي زمناً : حادث لم يكن من قبل ، فانٍ لا يدوم ولا يبقى . يزول باضداده وبآفات مثل بطلان الحاسة وبالنسيان . ٢) جزئي في البعد والمسافة : لا يرى ولا يسمع لا من قريب ، ولا يرى الا المقابل . ٣) جزئي من حيث المتعلق : لا يعلم الانسان الا بالصورة والمثال . فكل شيء لا يوجد مثاله وصورته

الروحانى لاتكون الا بالسامعة والعاقلة : « فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ » « فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ » - « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » . ولاينال الانسان الغائب ولايدركه الا بالسامعة . ولايقوم الانسان عموداً على اقدامه ولايكون يقظاً الا بالسامعة . « فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ » كنّت البلاغة الاعجازية عن الرقود بالضرب على الآذان . لان اليقظة واعتماد الانسان على اقدامه لايكون الا بالسامعة . والسامعة بيدها عود الاعتدال : تجعله عموداً على مركز الثقل دائماً .

الانسان له عقله وفكره وله حواسه . وباعتبارهما ينقسم عالم الوجود بالنسبة الى الانسان قسمين كبيرين ، لانهاية لكل واحد منهما : ١) عالم الغيب ، كل مالايدركه الانسان باحدى حواسه ، ٢) عالم الشهادة كل مايمكن ان يدركه الانسان باحدى حواسه .

ونحن صوفيي الاسلام ، نعتقد ان عالم الشهادة ملأمتشابه لانهاية له لايحيط به الا موجده . وان عالم الغيب اعلى واكبر واجل واعجب من كل عوالم الشهادة . وبين العالمين برزخ نسميه عالم المثال . وعالم المثال فى وجوده وتحققه وثبوته اقدم واكون واحق واثبت واقوى واوسع من عالم الشهادة .

الانسان له بدنه وله فى بدنه : ٢) القلب . والقلب نشاهده فى الانسان وفى الحيوان . وفى قلب الانسان غريزة هى القوة العاقلة ونسبة الغريزة الى القلب مثل نسبة الباصرة الى العين ومثل نسبة السامعة الى الاذن . وهذه الغريزة وهى القوة العاقلة تسمى قلباً ، كما تسمى القوة الباصرة بصراً . يقول القرآن الكريم : « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ » . ولم يرد شكل القلب . فانه لكل احد ولكل حيوان . وانما اراد القوة والغريزة .

والقرآن الكريم يسند التعليم الى الله فقط ويسند الانباء الى آدم فيفيد افادةً سهلةً ان الانسان في علمه لايحتاج الا الى تعليم الله، وان الانسان لايزال تلميذاً لله وهذا شرف عظيم كبير للانسان، ولن يبلغ الانسان الى ان يكون معلماً للملائكة ابداً. لان العالم لانهاية له، وعمر الانسان قصير لاينبغي له ان يجلس على كرسي التعليم قبل ان يدرك كل العالم. وهذه كرامة للانسان في اجتهاده، ليس وراءها غاية. سبقنا اليه الغرب باشواط. وهذه الكرامة مستفادة من القرآن الكريم. لان القرآن لم يسند الى آدم الا الانباء، لا التعليم: "يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم". فالعقل تلميذ لله، شريك للملائكة.

فالعقل هو الشاهد الاول والحجة الاولى والسبب الاول في الحكم والعلم والسبب الثاني للعلم هو خبر الصادق المعصوم. وحيث ان الانسان لا يحتاج الى النقل الا فيما لم يعلمه بعقله فالعقل هو الاول، والنقل هو الثاني.

وللانسان حواس ظاهرة، خمس وزيادة. بها صلة الانسان بغيره ١) لامسة، ٢) ذائقة، ٣) شامة، ٤) باصرة، ٥) سامعة، وللانسان قوة ناطقة. بها امتاز عن كل عالم الحيوانات.

وذكر القرآن العظيم الكريم كل هذه الحواس في سور وآيات. ولم يذكر في معرض الامتنان ومقام التكليف وكمال الاهلية الا الثلاث الاخيرة الباصرة السامعة الناطقة: "وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ". "إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا".

واشرف الحواس واقومها الباصرة. واعمها فائدة واهمها في احتياج الناس اليها السامعة. ان بطلت السامعة بطلت الناطقة والمفكرة. ولا يبقى للانسان افادة واستفادة. وصلة الانسان بالعالم الاعلى وبالعالم

والنظريات . والعقل والنقل حجة من الله بالغة . اقامها الله . ويعتبرها في كل الامور الشارع . عليها بنى نظام الحياة في المجتمع .

علم الانسان بذاته ، وبكل ما في قلبه من الانفعالات والعواطف ، وبكل ما في عقله من المعلومات والمعقولات علم حضوري لا يحتاج الى تعليم ولا الى صورة ولا الى واسطة .

اما علم الانسان بسائر الامور ، غير ذاته ، وغير ما في قلبه وعقله فعلم حصولي لا يكون الا بحصول الصور ، وعلم اسمي لا يتعلق علم الانسان الا باسامي الاشياء وبصورها ولا يحصل في عقل الانسان حقائق الاشياء . ولا يعلم الانسان شيئاً الا بصوره واسامية .

وهذه الخلاصة للفلسفة التي تتعب فيها كبار الفلاسفة يفيدها القرآن الكريم افادة سهلة جامعة بينة ببيانه المحيط في قول الله جل جلاله : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا . ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ : أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا : سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا . إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . » (٢ : ٣١)

هذه الآية الجليلة فيها افادات جلية ١) ان علم الانسان وعلم الملائكة كله تعليم من الله . ليس لبشر ولا لملك علم فعلي ابداعي . وان علم الانسان وعلم الملك كله بالاسامي فقط وبالصور فقط . اما الحقائق فلا يعلمها لا بشر ولا ملك . لان التعليم والانباء لم يتعلق الا باسماء في نص الآية الكريمة .

عرض الله كل الموجودات وكل الحقائق للملائكة . ولم يذكر القرآن الكريم العرض في آدم . ولم يستثن القرآن الكريم اسماً من الاسامي . فافاد افادة بسهولة ان الانسان له ان يعلم كل الموجودات وكل الحقائق باسامية فقط ، وبتعليم الله فقط .

بل اختلاف مبادئ الافكار طبيعي . واختلاف العوائد واختلاف مسالك الحياة واختلاف التدابير والطرق ووسائل الحياة رحمة واسعة وسعة .

١٢) وانما الضار الممنوع المحرم هو التعادي . واول لازم على الامة اليوم هو رفع التعادي . واول بركة الاسلام الذي كان الله مَنَّ بها علينا هي قوله : " وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ اِذْ كُنْتُمْ اَعْدَآءً فَاَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ " .

فاول التدابير هو تأليف القلوب . بالتزام التحرير وبالتزام الاحترام . كل احد حر وكل احد محترم .

فاذا تقرر هذا الاصل الابتدائي فالشأن بعده يسير .

العلم واسبابه (٧)

اوجز كلمة جامعة لخلاصة الفلسفة ، التي تعب ويتعب فيها فكر البشر من يوم خلق الله السماوات والارض الى ايامنا هذه قول الامام النسفي في اول العقائد النسفية : ١) حقائق الاشياء ثابتة . والعلم بها متحقق . واسباب العلم كثيرة . العقل . خبر الصادق المعصوم . والحواس السليمة . فان الفلسفة موضوعها ومرجع كل مسائلها الوجود والمعرفة . وهذه الجمل الثلث قد جمعت العقائد في الوجود والموجود ، وفي العلم والمعرفة واسبابها .

يقول اهل الحق : ١) إنَّ وجود الاشياء حقيقي ، ليس بوهم ، ولا خيال . وان حقائق الاشياء ثابتة في نفس الامر وحق الواقع ، ليست انتزاعية اعتبارية فقط . وعلم الانسان بالحقائق والموجودات حق مطابق . واسباب العلم وهي ثلثة توجب العلم في الضروريات

قواعدهٔ واصحابه الكرام .

واريد الآن ان آتى بذيول مجملة فى المسائل الاجتماعية الادبية الدينية يكون فيها تدارك بعض ما بدر منّا

١) ننزه كتاب الله من كل باطل ومن كل تناقض واختلاف . هذا هو النصيحة لكتاب الله .

٢) نعرف مقادير الأئمة ونقدر حق القدر فضل الائمة وحقها .

٣) فضل امام من الائمة لا يوجب علينا قبول قوله .

٤) ترك قول امام من الائمة لا يوجب انتقاصه ولا احتقاره .

٥) ليس فى تقدم الزمان فضل وليس فى تأخر الزمان ما يوجب نقصاً فى المتأخر .

٦) لا يكون قول احدٍ ولا فعل احدٍ حجة . الا سنة النبى الكريم صاحب القران العظيم .

٧) نسلم لكل احدٍ له كفاءة ان يجتهد . ولا نوجب على احدٍ ان يقلده .

٨) لا يكون دستوراً يجب العمل به الا ما قررته الكثرية الجماعة فى دولتها . والدول تختلف ، وتختلف مصالحها . والامم تختلف وتختلف عوائدها فى حياتها .

٩) نسلم لكل احد حريته . ونسلم لكل قول ولكل فكر ولكل مذهب حرمته .

١٠) لا نسعى فى توحيد الافكار ، ولا فى توحيد المذاهب . وانما نسعى الى تأليف الامم والى توحيد قلوبها .

١١) واصل الاصول فى الاسلام انما هو توحيد الموجد وتوحيد المعبود . وليس توحيد الافكار ولا توحيد مبادى الافكار بمطلوب .

على صادق اعتذارهم .

والدين السماوى اذا كان ديناً قومياً مثل ديانة اليهود ، يمكن ان يعتبر عوائد القوم سنة دينية . اما اذا كان الدين ديناً عالمياً فلا يمكن ان يجعل عوائد قوم سنة دينية اصلاً . فان الطبائع وآدابها وعوائدها مختلفة باختلاف بالضرورة . « كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ . »

وقد اغفل واهمل هذه الميزة الطبيعية ائمة اصول الفقه . واختل به فضل نظام الاسلام فى سعته ، وفى كونه ديناً عالمياً عرضه السماوات والارض .

وان قال قائل انه فى العاقبة صار سبباً يعتذر به من ينكر السنن وحجيتها فالاقرب ان القائل يكون مصيباً فى القول . والذى يعتذر به مخطئ فى اعتذاره ، غافل عن الحقيقة ، غفلة من يقول : « اَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا . »

وعلى من ينكر السنة ان يتبرأ اليوم الى السنة ، كما يتبرأ الأمم الى الله يوم القيمة .

وقد قال النبى الكريم : « لكل عالم شرة . ولكل شرة فترة . فمن فترة الى سنتى فقد نجا . »

عذرهم النبى الكريم البر الرؤوف الرحيم بهذا القول الجميل الكريم ان سكنوا الى سنته .

ذيول على الفصول (٦)

غاية ما قصدته فى هذا الكتاب : ١) ان السنة اصل اول بين الاصول الاربعة الاسلامية . وهى حجة . ٢) وان ليس فى حجية السنة ضرر تعبت به الامة . ٣) وان لا حاجة الى انكار السنن ، ولا فائدة . بل الانكار هدم لقواعد البيت : البيت الذى رفع محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ولن يتيسر ان نرى الانسانية كافة حافة من حول عرش الله - حول القرآن الكريم الا اذا بلغ نظرنا فى تعاليم الاسلام وادب الحياة ، وبلغ فقهنا فى نصوص الكتاب الكريم و فى هدى النبى الحكيم العظيم الى مستوى نظر السلف الكريم والى مستوى فقه السلف الصالح العليم.

اذ لم يكن فى ادبهم بتحجير ما وسعه الله ، واذ لم يكن طبع على قلوبهم داء تقليد يوثر رأى المتقدم وهوى القديم على الكتاب وعلى السنة وعلى العقل وصلاح الفطرة . كما نراه فى القرون المتأخرة ، وكما نراه اليوم فى دعاوى المنتحلين الغالين والغالين الذين يوحون الى اوليائهم زخرف القول غروراً .

(٦٤) تقدم ان سنن النبى الكريم العظيم هى سيرة النبى وطريقته التى كان يتحراها فى تبليغ دين الله لامته الكريمة . وقد كان بعض هديه لا على انه تبليغ للدين . بل على انه عربى يأتى بعوائد العرب . وسعة الاسلام تقر كل امة على عوائدها وعلى طبيعتها . ولا تحمل على امة عوائد امة اخرى وطبيعتها " قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ . فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا " (١٧ : ٨٤)

فقول الله " كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ " حكم كونى طبيعى لا استثناء فيه. هذا القول الجميل الجليل فى كونه عاماً مثل قول الله جل جلاله : " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ . وقول الله : " فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا " معناه : لا انتم . قطع دابر التفاخر بالعوائد القومية ، واستأصل جذور الاعتزاز بالخصائص القومية .

ومن اعجب ما ورد فى القرآن الكريم فى تقرير هذا الاصل الكونى الطبيعى قول الله جل جلاله حكاية عن قول الامم يوم القيامة : " هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا . أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا . تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ . " . حكى قولهم ، واقرهم

وذكر الله جلَّ جلاله في (٢ : ١٥١) الشأن الخامس من شؤون النبي الكريم، فقال « وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ». والشان الخامس ان لم يكن احد هذه الاربعة المتقدمة، فهو من باب قول الله « وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ». (٤ : ١١٣).

وشأن النبي ارفع من ان يكون معلم مهن وحرف لم تكن تعلمها العرب. فالغالب ان الشأن الخامس هو في علوم وشؤون جليلة رفعها كبار السلف بسندها الى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وان كان اهل الحديث واهل الفقه ينكرونها.

فان كان ذلك كذلك فالكتاب الكريم بمثل هذه الآيات الكريمة قد جعل هدى النبي وسيرته: اقواله افعاله حجة بالغة وبرهاناً في اعلى الشؤون واجل العلوم.

« وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ». وما سماه الله فضلاً عظيماً لم يكن النبي الكريم ليحرم امته من ذلك الفضل العظيم. فيكون هذا الفضل العظيم وصل الى البشر ببركة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ويكون هدى النبي وسننه حجة في اجل الامور شأناً لكل الانسانية.

« إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ». (٨١ : ٢٧).

(سر ٦) والفقه في الكتاب وفي السنة هو معرفة حقائق الدين، ومعرفة حكمه، واسرار الدين، ان كان للدين اسرار. وللسادة الصوفية في الفقه بهذا المعنى ما ليس لمن يسمون انفسهم فقهاء واهل الحديث.

والتصوف فيه كمال الفقه وكمال اصول الدين وفيه كمال التوحيد وحقائق التوحيد وفيه اصل الاصول.

ولا يمكن جمع الانسانية كافة داخل دائرة خطيرة قدس الاسلام

تنكرون قيمتها العلمية الادبية الدينية .

وانا اعتقد ، وليس فى قلبى ودماغى ذرة ارتياب : ان نصوص الكتاب ونصوص السنة قسمان متوافقان : ١) طلب وارشاد ، اوامر ونواه . ويسميها اهل العلم بالتكاليف . فى العبادات والمعاملات وغيرها . وهذا القسم هو الادلة النقلية . كلها على عقيدتنا قطعية .

٢) آيات وسنن فى غير قسم الطلب وفى غير التكاليف وكل هذه النصوص الآيات والسنن براهين عقلية ، اقوم من براهين الكتب العقلية ومن براهين كتب الحكمة ، واجل وادل من كل برهان يجله اهل العلم فى كتبهم العلمية .

اقول كل ذلك ، لا بايمان فقط ولا بمجرد هوى دينى وجد قلبى خالياً فتمكن . بل اقول بعلم رسخ فى قلوبنا ببركة كتب الحكمة وكتب اهل العلوم ، وبما هدانا الله له .

وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ .

وشاهدنا فى ذلك وشهيدنا هو الله : يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ .

دعوانا فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ . وَتَحِيَّتُنَا فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

٣) ذكر فى الكتاب الكريم فى دعوة ابراهيم (٢ : ١٢٩) : " رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " . وذكر هذه الاربعة من شؤون النبى الكريم على غير هذا الترتيب فى آل عمران (١٦٤) وفى سورة الجمعة (٢) والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة كانت بهدى النبى وسيرته فى حياته بافعاله واقواله . وآيات الله وكتاب الله كانت موبدة مثبتة لهدى النبى الكريم . فكانت السنة هى الاصل الاول فى التشريع .

التاريخ ، ٥) ان يخالف القرائن والمقام . ولحن نزيد السادس ونقول :
٦) ان يخالف الثابت من احاديث الرسول . ثم لنا ان نزيد السابع ونقول : ٧) ان يخالف اصلاً اجتماعياً تلقاه سلف الامة بالقبول .
نحكم على كل هذه السبع بالوضع . ولا حاجة الى بحث في اسانيدها . فان ائمة الحديث لا يبحثون في الاسانيد الا بعد البحث في المتون .

فاذا قلنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان العلم ثلثة : وما سوى فضل : ١) آية محكمة ، ٢) سنة قائمة ، ٣) فريضة عادلة . » فباي علامة من هذه العلامات او باي دليل من الادلة تحكم على هذا الحديث بالوضع . فان كانت السنة القائمة علماً ، فلاي حكمة اجتماعية ولاي مصلحة ادبية تحرم السنة القائمة عن حق ثبت لاختيها : للآية المحكمة وللفريضة العادلة ، وانت لا تنكر ان الآية المحكمة والفريضة العادلة حجة .

(٦) اعترف المنكر بانه انما ينكر حجية السنن ، ولا ينكر قيمتها التاريخية . وانا استبعد كل الاستبعاد مثل هذا القول من مثله . فان سنن النبي الكريم الشارع الحكيم ان لم تكن حجة حاكمة على الناس كافة لم يبق لها شيء من قيمة . سوى ما لفعل كل احد عاش يوماً من الدهر . وهذا اعظم انتقاص لسيد الرسل خاتم النبيين (صلى الله عليه وسلم)

ومن ينكر حجية السنن ويدعي انه يرى قيمتها التاريخية فلكل متهم ان يتهمه بانه تظاهر وانه تستر خوفاً او طمعاً رغباً او رهباً . مستنداً في اتهامه على ان القرون المتأخرة من الامم الاسلامية في هذه العصور قد تخارجت من كل حظوظها ومن كل سهامها ومن مواريث نبيها ومن مواريث سلفها تبرعاً لاهل الغرب . يحبون العاجلة ويذرون وراءهم كل اثقالهم الثمينة لاهل الغرب . يتمتعون بها في ترقياتهم العظيمة تخارجوا كل التخارج . فهم بنا قائلون عن قيمتها التاريخية . كما انتم

(٥٨) "وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ. أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"؛ (٧: ٢٨)

الاب فی عرف ادیان الامم القدیمة هم المعلمون والانبیاء بدلیل قولهم "وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا". ردهم القرآن الکریم بقوله: "قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ". ردًا للسنن الباطلة. وفیه تثبیت للسنن الصالحة القومیة والاسلام یقر الامم علی عوائدهم القدیمة وعلی سننهم القومیة ان لم یکن فی العوائد والسنن فساد اجتماعی، ولم یکن فیها عقیدة باطلة.

(٥٩) قد اتفق اهل العلم، ولیس لمنکر ان یستبعد ان قلتُ، قد اتفقت الامة علی ان العلم ثلاثة، وما سواها زیادة فی الفضیلة: ١) آیة محکمة: کتاب الله، ٢) سنة قائمة، ثابتة من نبی الله، ٣) فریضة عادلة. هی الاجماع وحکم العقل بالقیاس او بغیره. ومعنی الفریضة یجب العمل بها. ومعنی العادلة انها تساوی کتاب الله وسنة نبیه فی اثبات حکم الله.

وکما انه لیس بسنة کل حدیث، کذلک لیس بعقل ولیس بعلم کل ما یراه کل احد. فان کان لک سبیل الی انکار حدیث بعقلک وعلمک، فای سَدٍّ یَسُدُّ علی وجهنا باب الکلام فی علمک وعقلک. وقد قیل، والقول حق معقول، تعلموا العلم وتعلموا للعلم السکینة والوقار وتواضعوا لمن تعلمون منه.

ولیس العجلة والطیش والتهور فی انکار اصل من الاصول التی اتفقت کل الامم وکل الشرائع علی تقدیسها، بعقل.

واتباع السنن واتخاذها اول حجة واعظم دلیل اتفقت علیها الشرائع وطبیعة البشر، وایدته الحکمة فی جمیع العصور عند جمیع القرون.

(٦٠) قد اعترفت ان علامة الوضع خمس: ١) ان یخالف العقل، ٢) ان یخالف الفطرة، ٣) ان یخالف القرآن الکریم، ٤) ان یخالف

ولم يهتد اليه نحوى. وضل ضلا لا بعيدا. من ظن ان المنصوب هو الخبر
(المائدة ٥ : ١٠٤) ٥٦) "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ".

دعاهم الى الرسول الى هديه وسيرته وسننه، مثل ما دعاهم الى ما انزل الله الى كتاب الله. فقد جعل الكتاب الكريم هدى الرسول مثل كتاب الله حجة الهية حجة بالغة.

ثم ينبغي لمتفكران يتنبه ان الله في مثل هذه الآيات الكريمة لم ينكر الاقتداء بالسنن القديمة. وانما رد الاقتداء بالسنن الباطلة، فقال: "أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ". اما لو كان الآباء على علم وعلى هداية لما انكر الكتاب الكريم قولهم: "حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا".

فقول الله جل جلاله: "أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" حجة جليلة وبرهان جلي جميل على ان الاقتداء بالسنن الصالحة هداية الى اقوم السنن واحسن الهدى سنة صاحب القرآن وهدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(الزخرف ٤٣ : ٢٣) ٥٧) "وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ. قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ. قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ." (سورة الزخرف ٤٣ : ٢٤)

اقرهم على دعواهم الاهتداء والاقتداء بالسنن القديمة. ودعاهم الى سنن النبي التي هي اهدى من سنن آبائهم القديمة. فارشدهم الى ان البقاء على سنن القديمة لكونها سنن الآباء بعد ظهور سنن هي اهدى من القديمة ضلال اجتماعي. دعاهم الى الهدى، ولم ينكر هداية القديم. هذا ادب عظيم في دعوة القرآن الكريم.

فانكار السنن اليوم يدخل في قول الله حكاية عن الامم: "قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ" (٤٣ : ٢٤)

مثلاً : قول الله في سورة البقرة : " وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " ، ان قصدنا انحصار الفلاح في اولئك فهذا القصد لا يتأتى الا اذا جعلنا المفلحون مبتدأ يحصره اسم الاشارة . اما اذا جعلنا اسم الاشارة مبتدأ والمفلحون خبراً فالجملة على هذا التقدير تفيد ثبوت الفلاح ولا تفيد انحصاره في اسم الاشارة .

ورضي الله عن امام الادب سيبويه اذ يقول في كتابه ان اكثر النحاة يتهاونون بالخلف في المعنى اذا استقام لهم وجه الاعراب . ومعرفة معنى الكلام ألزم من معرفة وجه الاعراب .

" إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا " (٢٤ : ٥١)

اتفقت الامة واجمعت الائمة على نصب " قول المؤمنين " ولا يستقيم المعنى إلا على الاسمية . واهل الاعراب اجمعون قالوا انه خبر كان . اغتروا بوجه النصب . وتهاونوا عظيم التهاون بالخلف في المعنى .

وامثال هذه الآيات في الكتاب الكريم كثيرة . ولا يستقيم المعنى الا على الاسمية .

فقلتُ مهتدياً بامثال هذه الآيات الكريمة : إنَّ كان من بين الافعال الناقصة تستعملها العرب على وجوه ١) رفع الاسم ، ونصب الخبر لم يثبت نحوي غير هذا الوجه . ٢) رفع الاسمين . يحمله النحوي على الالغاء . او على اضمار ضمير الشأن . ٣) نصب الاسم ورفع الخبر . وهذا الوجه في آيات الكتاب الكريم كثير . يخطئ في هذا الوجه النحاة خطأً فاحشاً بجعل المنصوب خبراً ولا يستقيم المعنى على الخبرية اصلاً .

وانا اقول : إنَّ كان قد تكون مثل إنَّ في العمل :

كان كإنَّ . كان مثل إنَّ . وشواهد آيات الكتاب الكريم .

يَحْزَنُوْنَ ۔" (۲ : ۳۸) ۔" يَا بَنِيْ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِيْ فَمَنِ اتَّقٰى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ (۷ : ۳۵)

والآيات فى هذا المعنى كثيرة فى سور القرآن الكريم ۔

لم علق القرآن الكريم الارسال والانزال بحرف الشك ؟

قال اهل العلم ان الارسال ليس بواجب على الله ۔ فان اساس الدين وهو معرفة الله بتوحيده ومعرفة بعض حقوق الله على عباده يحصل بالعقل واستعداد الانسان كاف فى قيام اصل الحجة ۔ ويبقى التكميل فى ما لا يدركه العقل بالارسال فالارسال فضل من الله ولطف من الله على الناس ۔ وليس بواجب ۔ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّيْ هُدًى : ۱) بكتاب ، ۲) هُدًى برسول ، ۳) هُدًى بالعقل ۔ فمن اتبع هداى المنقول او المعقول فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ۔ اضاف الهدى الى نفسه واطلقه بعد الاضافة ، فيدخل فى اطلاقه وفى عمومه ۱) هدى الكتاب ، ۲) هدى الرسول ، ۳) هدى العقل ۔ كل هذه الثلاثة على مستوى واحد فى الهداية والاهتداء ۔

" قُلْ إِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدٰى ۔ " (۲ : ۱۲۰)

" قُلْ إِنَّ الْهُدٰى هُدَى اللّٰهِ ۔ " (۳ : ۷۳)

" قُلْ إِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدٰى ۔ " (۶ : ۷۱)

واعتقد ، وقلبى مطمئن به ، ان هدى الله المعرف بالاضافة الى اسم الجلالة هو الخبر فى كل هذه الآيات الثلاث ۔ والهدى المحلى بال التعريف هو الاسم هو المبتدأ ۔ لان انحصار الهدى فى هدى الله لا يستفاد الا اذا جعلنا هدى الله خبراً يحصر المبتدأ ۔ هذا قانون عقلى فى البيان ۔ خلافه خلف يفسد به المعنى ۔

وقولى هذا ينبسط الى آيات كثيرة اخالف به اهل العلم من معانى القرآن الكريم فيها ۔

اصاب كل الاصابة فى رده على المناطقة وعلى المتفلسفة . ولم يتمكن ان يقول حرفاً فى رده على المنطق وعلى الفلسفة .

ولم يكن الرد الامن حيثية جعل المنطق والفلسفة قسماً من اقسام العلوم الدينية . لا من حيثية كون المنطق صناعة من الصنائع ، وهندسة فى نظام الافكار . ولا من حيثية كون الفلسفة علماً شريفاً من العلوم يبحث فى الوجود وفى المعرفة . وموضوع الفلسفة هو : ۱) الوجود ، ۲) المعرفة .

وقد اخطأ ويخطئ من ظن ويظن غير ذلك . فحرّم المنطق وجعل الفلسفة من مبادى الزندقة . هذا هو الذى جعل فى اعناق عقل البشر اغلالاً ، وجعل بين ايديه ومن خلفه سداً . فاغشاه واعشاه .

وكبار علماء اصول الفقه وان جعلوا المنطق وبعض مسائل الفلسفة جزءاً من علم اصول الفقه فى التدوين فلم يجعلوه جزءاً من الدين ولم يعدوه علماً دينياً . وكانوا اعلم منا بكونه من العلوم الكونية .

۵۴) وآية سورة النساء : " وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُوْلَ فَاُولٰٓئِكَ مَعَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيّٖنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِيْنَ . وَحَسُنَ اُولٰٓئِكَ رَفِيْقًا . " (۶۹) قد وسعت دائرة الفضل بان جعلت الذين انعم الله عليهم اربع جماعات وبان الحقت بهم عامة الامة التى اطاعت الله واطاعت الرسول : " ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّٰهِ . " وصاحب القرآن الكريم اول من دخل فى " الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ " فكل سننه الكريمة هى : " الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ " الذى يطلبه كل الامم فى كل ركعة من مكتوباتها ونوافلها . فالذى يتلو القرآن الكريم ويدعو الله بدعواه . " اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ . " فتلاوته ودعوته ودعواه حجة عليه وان لم يعترف هو بحجية سنن نبيه .

۵۵) فَاِمَّا يَاْتِيَنَّكُمْ مِّنِّيْ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

وفي اعلاء كلمة الله ، ٣) وفي اخراج خلق الله من ظلمات الجهل ومن فتن الفساد . فمن ضل عن هذه السنن السنية فقد ضل وقد ذل وقد زل ، واحاطت بنظام المجتمع الازمات والاسقام والعلل . كما رأينا في كل تاريخ الدول الاسلامية ، ونرى اليوم اهول منه في عصورنا هذه في الدول التي تدعى المدنية .

فأروني اي سنة من سنن النبي الكريم اضطرتكم الى انكار سننه واية سنة عذرتكم في تركها اعراضاً وتولياً عنها ؟

قد ثبت عند الامة قول النبي الكريم . " الا ان احسن الكلام كلام الله . واحسن الهدى هدى محمد . وشر الامور محدثاتها . وكل محدثة بدعة . وكل بدعة ضلالة . وكل ضلالة في النار ."

فان اعتقدت ان ابلغ الكلام كلام الله وكنت في اعتقادك صادقاً مخلصاً فكيف تنكر ان احسن الهدي هدي محمد ؟

والجمل لست في هذا القول ، صادقة كل الصدق ، حكمة نبوية في حفظ الدين على اصله غضاً طرياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والبدعة في هذا القول الحكيم احداث شئ ليس من الدين على انه جزء من الدين ، على انه عمل ديني يتقرب به العبد الى ربه .

والامر الذي يخترعه احد او تحدثه امة ان لم يجعل جزءاً من الدين ولم يعتبر عملاً دينياً فلا يكون بدعة مردودة ، ولا يكون ضلالة . انما البدعة زيادة في الدين . وكل محدثة في الدين بدعة . وكل بدعة ضلالة .

ومن يقول ان البدعة تدخلها الاحكام الخمسة فأقل ما فيه انه رد لنص الشارع من غير ان يفهم قصد الشارع .

ومن اهل العلم من كتب كتباً في رد المنطق ، وفي رد الفلسفة . وقد

اعلم منّا بالقرآن الكريم. واما م هؤلاء هو النبي الكريم صلى الله عليه وعلى وصحبه وصاحبيه وسلم .

ولاشك ولاريب ان كل حكيم وكل عظيم وكل نبي في حياته كا افعال واقوال عدّتها الامم سنة اجتماعية مقدسة تهتدى بها كل امورها . وهذا امر فطرى في نظام الامم . لم ينكره احد . ولزنة عاقل . فلايكون من شرف خاتم الانبياء صاحب القرآن الكر ان نستثنيه من بين الحكماء والانبياء والعظماء في كون فعله قو وسيرته حجة هادية وقد ارسله ربه حجة ورحمة للعالمين ، وسيبه ربه مقاما يحمده به قلباً ولساناً كل الآخرين .

وقد ترك الله على انبيائه في اقل شئ ونهم في الآخرين : " سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ " . - " سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ " . - " سَلَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ " . - " سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ " (الياسين) فهل يكون من كمال الاسلام ان لا تكون سيرة نبيه حجة حاكمة في ح امته ؟ حكيمة في اهتدائها ؟

ونعلم علم اليقين ، ونقول ، وليس في قلبنا ذرة ارتياب ولا مب ان كل سيرة في كل حياته مدة ثلاث وعشرين سنة وخمسة . اشهر دساتا حكيمة لامته في حياتها الادبية الاجتماعية والسياسية .

ونعلم حق العلم : ان ما وضعه اهل الوضع من الاحاديث اقل اثبته ائمة السلف من الصحاح من السنن الثابتة . وقد قال النبي الكر تركتكم على بيضاء ليلها مثل نهارها . وقد قال عليكم بسنتي . لن تضلوا ما تمسكتم بها .

ومن سننه وسنن صحابته : ١) الاكتفاء في الحياة بالبلغ في الحاجات الشخصية زمن الضيق ، ٢) بذل كل همه في اقامة العد

الوضع لم تتمكن ان تمس مشارع الشرع ومشاعر الدين بشئ ليس من الدين فلم يوجد فى هدى النبى الكريم ولا فى سننه الثابتة ، ولا فى سيرة حياته النبوية شئ موضوع . ولم يتأثر من وضع اهل الوضع فقه الاسلام . وما وضعه القصاصون ودعاة الفرق لم يكن له اثر فى فقه مذاهب الاسلام . نعرف الوضع . فهل يمكن احدان يُرِينَا حديثاً موضوعاً بنى عليه فقه مذهب من مذاهب الاسلام ، او حديثاً موضوعاً فى هدى النبى الكريم بنى عليه ادب الاسلام .

وضع الزاهد احاديث فى فضائل الاعمال واجورها ، وداع من دعاة الفرق فى مناقب الافراد والاشخاص وفى مثالبها . وظاهر ان هذا ليس من الدين فى شئ .

فَعُدُّوا كل الموضوعات من الاساطير . وعندكم فرقان يُمَيِّز الخبيث من الطيب ، والكاذب من الصادق ، والباطل من الحق .

« إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا »

وان يعتذر بان السنن صارت تشغل الناس عن الكتاب الكريم . فان جعل الناس السنن شاغلة عن الكتاب الكريم عيب للناس وليس من مضار السنن .

والاختلاف الذى وقع بين الامة لم يكن اصلاً من السنن . لم يكن الا من الاهواء . مثل اختلاف اهواء اهل الكلام فى نصوص آيات الكتاب الكريم وهى بينات . فان لم يكن اختلاف الاهواء السياسية والكلامية قادحاً فى الآيات البينات فكيف يجعل قادحاً فى السنن .

نحن نعتقد ، ونقول قول محق صادق : حسبنا كتاب الله وان الكتاب الكريم كافٍ للامة تمام الكفاية ومغنٍ تمام الاغناء . نحن لا نريد من القرآن الكريم بدلاً ولا نبغى عن الكتاب الكريم حولاً . ولكن نتبع من هو

وضع وخفض سنن صاحب القرآن الكريم عن حق بذله الله لكل ا
وسننه اهدى واقوم واحكم واقرب لصلاح المجتمع .

« قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا . اَتَّبِعْهُ (سورة القصص

« قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ؟ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . » سورة الزخرف (٢٤)

فهل تقولون مثل ما قالوا : انا بما ارسلت به كافرون ؟

(٥٢) وآيات كثيرة فى اهم الامور واعمها نزلت خطابا للنبى الا
مثل « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ » فلو لم يكن عمل النبى الكريم حجة مو
لما اختص الله بخطابه نبيه . فدلت كل هذه الآيات على ان سنة النبى حج

لا عذر لأحد فى انكاره السنن ولا فائدة

(٥)

تقدم فى الفصول الاربعة السابقة ما به سيطمئن ان شاء الله
قلوب اهل الرغبة من كرام الطلبة فى موضوع السنة . فقد بسطت
هدانى الله اليه بعض ما استطعت فى شأن السنن . وكان اهم ما قد
اليه بيان سنن النبى الكريم صاحب القرآن العظيم صلى الله عليه و
وصحبه وصاحبيه وسلم .

س٥٣ باية شبهة باىّ عذرٍ وباىّ وهمٍ يعتذر من ينكر سنن النبى ا
صاحب القرآن العظيم ؟

فان يكن يعتذر بشيوع الوضع فى الاحاديث ، فان شيوع الوض
فى الاحاديث لا يقوم عذراً فى ترك سننٍ كان ليلها كنهارها بفضل ا
السنن وبفضل فقهاء الاسلام . ومن عصمة الدين الحق ان اي

(٤٨) واصح الاستدلال فى كل الاحكام الشرعية الاجتماعية استدلال اهل العلم باحوال النبى الكريم وسيرته وسننه . والكتاب الكريم يقول : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » سورة الاحزاب فى غيرها . فعل النبى صاحب القرآن الكريم يدل دلالة قطعية على الندب والاستحباب . ويدل الآية على ان التأسى اهتداء بالضرورة .

وسيرة النبى فى حياته دساتير للامة . فالسنة اهم دليل فى شرع الاسلام .

(٤٩) وقد اتى القرآن الكريم بغاية البيان : « فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ آمَنُوا : قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا : رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ . » (٦٥ : ١٠)

جعل الله نبيه عين الذكر ، وجعل سيرته آيات الله . فسيرة النبى الكريم بنص هذه الآية الكريمة ، حجة لله بالغة مبينة تخرج الامة من الظلمات الى النور .

(٥٠) النبى الكريم فى تبليغ الشرع معصوم . وسنته وحى . وهو فى كل افعاله وكل اقواله « عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ » ، لآيات كثيرة فى ذلك : إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ » ـ « وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ » ـ « قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي » ـ « إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ » . فلا يكون فعل النبى وقوله الا من الله . ومن يقول « إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ » اذا حكم فحكمه لله . لانه صادق معصوم .

(٥١) الاقتداء بالسنن المعلومة الحقة جعله الله غاية لارادته فى قوله « يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » (٤ : ٢٦) . فاذا كان اقتداء الامة الاسلامية واهتداؤها الى السنن القديمة غاية لارادة الله فى شرع الاسلام يهدينهم اليها الكتاب الكريم وحجة لامته فاى واضع خاص

مثل وجوب الصلوة والزكاة .

(٤٦) "قُلْ هٰذِهٖ سَبِيْلِيْ . اَدْعُوْا اِلَى اللّٰهِ عَلٰى بَصِيْرَةٍ اَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِيْ" سورة يوسف (١٠٨) هذه سبيلي وسبيل من اتبعني ١٠ ادعو الى الله ويدعو من اتبعني . على بصيرة انا وعلى بصيرة من اتبعني . كل هذه الوجوه الثلاثة يفيدها النظم العربي على حد سواه . والسنة سبيله في التبليغ . والنبي الكريم على بصيرة . فالسنة حجة بالبداهة . والا لم يمكن ان يكون لمن اتبع حق في الدعوة .

(٤٧) "وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ رُوْحًا مِّنْ اَمْرِنَا . مَا كُنْتَ تَدْرِيْ مَا الْكِتٰبُ وَلَا الْاِيْمَانُ . وَلٰكِنْ جَعَلْنٰهُ نُوْرًا نَّهْدِيْ بِهٖ مَنْ نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا . وَاِنَّكَ لَتَهْدِيْٓ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ : صِرَاطِ اللّٰهِ الَّذِيْ لَهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ . اَلَآ اِلَى اللّٰهِ تَصِيْرُ الْاُمُوْرُ" (٤٢ : ٥٢)

والقرآن الكريم في هذه الآية الكريمة اتى بكناية الغائب اولا ثم التفت ثانياً وخاطب نبيه الكريم . فكأن الكتاب الكريم من اول الامر قال : "وَلٰكِنْ جَعَلْنٰكَ نُوْرًا نَّهْدِيْ بِكَ مَنْ نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا . وَاِنَّكَ لَتَهْدِيْٓ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ" بفعلك وقولك واقرارك .

والصراط المستقيم الذي اضافه الله في ام الكتاب الى "الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" اضافه في هذه الآية الكريمة الى نفسه : "صِرَاطِ اللّٰهِ الَّذِيْ لَهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ" تعظيماً لشان هدى النبي في كونه بياناً للقرآن وقلم ابلغ بليغ ولسان اعلم عالم قاصر في بيان افادة هذه الآية الكريمة وفي بيان درجة اعجازها .

وخاتمة هذه الآية الكريمة "اَلَآ اِلَى اللّٰهِ تَصِيْرُ الْاُمُوْرُ" دلت دلالة قطعية على ان بيان النبي باخلاقه واقواله وافعاله صائرة الى الله صيرورة كل الامور اليه .

ونحن نعتقد ان الامة مثل نبيها معصومة فى تحمل الشرع وفى ادائه . فالصحابة الكرام حفظت الكتاب وحفظت السنن وبلغت والذين اتبعوهم باحسان مثل الصحابة فى حفظ الشرع بالكتاب والسنن وفى الاداء . وكل القرون بعد هولاء الى يوم القيامة لها العصمة فى حفظ الشرع بكل اصوله وفى التبليغ .

ولذلك نرى ونعتقد ان سنة السلف وسنن الاوائل لا ينبغى لنا ان نخالفها . وسنن الصحابة الكرام زمن الخلافة الراشدة حجة فى عقيدتنا قطعية . وهى : « دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ » اللهُ خصوصاً اذا كان فيها معنى حكيم له فائدة اجتماعية . كما ان كل امر فى وضعه فائدة فان للخلف ان يضعوه . وبذلك يكون ظهور الاسلام وعزته . وعلى هذه الوتيرة تكون تلاوة الامة القرآن الكريم ارتقاء

(٣٣) وقد نزلت فى وجوب الاتباع ووجوب الاطاعة آيات كثيرة . مثل قول الله : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ . (٤ : ٦٤)

فاذ جعل اطاعة الرسول غاية الارسال ففعل الرسول وقوله يكون حجة بالضرورة

(٣٤) « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » . (٣ : ٣١)

هذه الآية الكريمة بينة جليلة جلية على ان كل سنن النبى : افعاله واقواله واقاريره واجتهاده حجة بالغة قاطعة ، يفوز اعظم فوز من تمسك بها . لان برهان محبة الله هو الاتباع ، والذى يوجب رضى الله ومحبته هو الاتباع . والاتباع هو امتثال الامر ، لا مجرد محاكاة الفعل .

(٣٥) « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ » (٢٤ : ٥٦) ، « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ » . (٢٤ : ٥٦)

جعل الاطاعة فى درجة الصلاة والزكاة فى حكمها . فالاطاعة واجبة

" وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ " (٣ : ١٠١)
فوجود الرسول الذى يتلو آيات الله ويدعو الى الايمان بالله حجة لا يبقى بعدها عذر لأحد .

من آمن برسالة النبى الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمحمد فى رسالته :
(١) خليفة الله على وجه الارض امام امته . ففعله وقوله وحكمه قانون عموم فى دولته . (٢) مُعَلِّمٌ حَكِيمٌ مُفْتٍ ، قوله حجة وفتوى لكل فرد من امته .
(٣) قَاضٍ عَادِلٌ مُرْشِدٌ قضاؤه نافذ فى كل حادثة ، لا يمكن ان ينقضه ناقض . (٤) نبى الله على العالمين اجمعين . نحن نوحّد محمداً فى رسالته ، كما نوحّد ربّه فى الوهيته .

فهديه وسيرته من جميع هذه الوجوه الاربعة حجة الاهية بالغة بليغة .

السُّنَّة حُجَّة توجب الحكم قطعاً (٤)

هذا الباب الذى تقدم وان كان اغنانى كل الاغناء عن بسط ادلة كون السنة حجة قطعية فى اثبات حكمها ، الا انى اقتداءً لاهل العلم فى كتب اصول الفقه ابسط بعض البسط الادلة . نزلاً لاهل الرغبة من كرام الطلبة .

(٤ ٢) " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ . وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا " (٥٩ : ٧)
الْإِيتَاءُ هو الامر . بدليل : " وَمَا نَهَاكُمْ " ، والنهى يفيد التحريم . فالامر بدلالة المقابلة يوجب الوجوب . والله العزيز العليم بهذه الآية الكريمة فوض الى نبيه الكريم المعصوم التشريع بالاطلاق . لانه حكيم عصمه الله وجعله على بينة من ربه .

بمعنى التفصيل لاجمالها وبمعنى البسط لاختصارها ، وبمعنى التيسير لفهمها لان بيان الفعل مشاهد يشاهده كل احد :

" وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ " (١٦ : ٤٤)

والبيان فى قوله : " وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ " (١٦ : ٦٤) تبليغ لاهل الكتاب حل ما اختلفوا فيه

" لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ " (٤ : ١٠٥)

ولا يرتاب احد يتلو الكتاب الكريم ان النبى حاكم وان النبى مبيّن . حكمه حجة قطعية ، وبيانه حجة قطعية بالضرورة .

فعل النبى الكريم وقوله فى كليات الشرع اعلى من قضائه فى جزئيات الاحكام والحوادث : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ . وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " . فالكتاب الكريم بإقتضاء هذه الآية الكريمة قد حكم ان سنة النبى الكريم اجل حجة واقوى اصل بين الاصول الاربعة . وامر النبى الكريم فى حادثة جزئية اذا كان موجباً للطاعة كما نصت عليه الآيتان فى خاتمة سورة النور ، ففعل النبى الكريم وقوله فى كليات الشرع يكون اكثر ايجاباً بالضرورة .

قلنا ان سنة النبى الكريم اصل اول واصل اسهل . **ونقول** الآن ان سنة النبى الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وصاحبيه اعلى . دليل واقوى حجة بين اصول ادلة الاسلام فى اثبات العقائد والاحكام لقول الله فى كتابه الكريم : " وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ . " (سورة الحديد ٨) .

جعل الكتاب الكريم دعوة نبيه الى الايمان بالله اعلى حجة لا يبقى بعدها عذر لاحد . فدعوة النبى اصل اول واصل اعلى واجل

السادسة من الهجرة ، ووضعت في السادسة من آيات سورة المائدة ونزل الوضوء شرط الصلوة مدة عشرين سنة ، بالسنة . ولم يصل النبيّ ولا احد من الصحابة صلاة بلا وضوء . هذا معلوم بالضرورة . ففرض الوضوء لم يكن الا بالسنة . وكذلك التيمم . فان الاعذار في مدة عشرين سنة كانت تقع . والاكتفاء بالطهارة الاصلية كان مشروعاً بارشاد النبي الكريم . ووضع النبي الكريم آية الوضوء والتيمم ثالثة واربعين في السورة الثالثة بمناسبة "وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا"

والحج عرفة . والتعريف اعظم ركن من اركان الحج . وليس للتعريف ذكر في القرآن الكريم . الا ظرف المنسك غير واجب في قوله : "فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ" (٢ : ١٩٨) ذكر الافاضة من عرفات ظرفاً لاعمرة . ولم يذكر التعريف والحج هو التعريف لم يثبت الا بالسنة . وذكر الافاضة من المشعر الحرام في عمرة الكلام . ولم يذكر التشعير : (الوقف في المشعر الحرام) الا باقتضاء "ثم" "ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ" (٢ : ١٩٩)

ومثل هذا البيان العجيب يرشد اهل العلم : الى ان الاصل في ثبوت اركان الدين وفي ثبوت واجباته هو السنة : عمل النبي الكريم . وكذلك الصيام ، وكذلك الزكاة . ثبت الصيام اول ثبوته بالسنة وثبت الزكاة اول ثبوتها بالسنة . ثم نزلت الآيات الكريمة مؤيدة مثبتة فارضة مثبتة .

اجمعت الآيات على ان السنة اصل اول ، ثم اجمعت الامة على ان السنة اصل اول ، واصل في البيان اعم واسهل . وفعل النبي الكريم وقوله قبل نزول الآيات وبعد نزولها بيان بمعنى التبليغ اولاً ، وبيان

هذا الباب : باب سيرة النبي الامي الامين في كتاب الله المبين، اطول باب في هذا الكتاب كتاب السنة . بسطته بسطاً وجعلته في اربعين فصلاً . لان الباب جديد . ولم يكن قبلُ من كتاب بيّنَ سيرة النبي الكريم من آيات القرآن العظيم .

هذا بحمد الله باب جديد : " لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ " .

عسى ان يتخذه اهل الرغبة من ابناء الامة سبيلاً الى كتاب الله في سيرة نبيّه وفي سيرة انبيائه .

السُّنَّة اصل اول (٣)

تقدم في الباب الاول معنى السنة : سنة الله ، سنة الاولين ، سنة النبي الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . ونريد في هذا الباب ان نثبت ان سنة النبي الكريم صاحب القرآن العظيم اصل اول بين الاصول الادلة الاربعة في شرع الاسلام في اثبات الاحكام . ان شاء الله .

(٣١) السنة اصل اول بين اصول الادلة الاربعة في شرع الاسلام في اثبات الاحكام . لم يثبت حكم في الاسلام اول ثبوته الا بالسنة . وآيات الكتاب الكريم كانت تنزل بعدُ مؤيدة مثبتة لفعل النبي الكريم واقراره واقواله .

الايمان وكل اركان الدين وكل فرائض الدين ثبتت اول ثبوتها بالسنة . ثم جاءت آيات الكتاب الكريم تؤيدها وتثبتها تثبيتاً .

الصلوة وكل اركانها وشروطها واوقاتها ثبتت بالسنة اولاً ثم نزلت آيات الكتاب الكريم مؤيدة مثبتة .

آية الوضوء ، والوضوء شرط الصلاة ، لم تنزل الا والسنة

وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ "

فالنبى الكريم بكل آيات القرآن العظيم ممدوح محمود موصوف بالخلق العظيم. وامثال قول الله: "عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ" وقول الله: "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ" (٣ : ١٢٨) لم تنزل عتابا من الله لنبيه الكريم وانما نزلت ثناء لرأفته ورحمته لامته.

(٣٨) وهل يتمكن الانسان من ان يتصور ثناء اجمع محامد من قول الله جل جلاله فى سورة الانبياء: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ." (٢١ : ١٠٧)

ومن يكون رسالته عمومية للعالمين، ثم يكون رسالته العمومية مجرد رحمة للعالمين فهل يمكن ان يكون بين عباد الله احد احمد منه.

(٣٩) وهل جاء لأحد فى كتاب ثناء مثل ماجاء فى القرآن العظيم لنبيه الكريم: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. (٣ : ٣١)

فمن جعل الله اتباعه يوجب محبة الله ورضاه وجعله شافعا فى مغفرة الذنوب ونوال الدرجات عند الله فهذا الثناء انفع ثناء لاهتداء كل فرد من الامة واسهل طريق فى الاهتداء.

(٤٠) النبى الكريم الرؤوف الرحيم كان عظيم التواضع فى كل حالاته وفى كل معاملاته. وقد كان متواضعا غاية التواضع حتى فى نفسه "قُلْ: رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" سورة المؤمنون. (٢٣ : ٩٣ : ٩٤) ولا اكون مبالغا ان قلت ان مثل هذا التواضع لم يكن ولا يكون لاحد من البشر.

عليهم السلام (٨٨) . واتى القرآن العظيم بتدارك عجيب حكيم على هذه الدعوة فقال : " قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُمَا . فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . "

الرابع في سورة يونس (١٠ : ٩٨) فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ . لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ " حكى الله في هذه الآية الكريمة استثناء قوم يونس من قول الله : " فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا . سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ . وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ " (٤٠ : ٨٥) ولما وقع في قلب النبي يونس غيظ وكرب وذهب مغاضباً وتمكن في قلبه عزم على هلاك قومه اظهر الله رحمته على القوم فكشف عنهم العذاب ومتعهم الى حين . تأديباً لنبيه يونس كما تدارك على دعوة موسى وهارون . فان رحمة الله وسعت كل شئ وسبقت غضبه . فلا يجب الله من عبده الا ان يكون رؤوفا رحيماً لعباد الله .

اما النبي الاعلى صاحب القرآن العظيم فقد ذكر الله عظيم حرصه على ايمان جميع من على وجه الارض في هذه السورة " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا . أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ " (١٠ : ٩٩) " وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ . " (١٠ : ١٠٠) " وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ . "

وقد ذكرت في ترتيب السور الكريمة وجه نزول سورة يونس بعد سورة الاسراء ، ووجه وضع النبي الكريم سورة يونس بعد سورة التوبة . (٩٦ : ٩٨)

ولما ملأ الله قلب نبيه رحمة لامته اشار بآيات في اظهار مواخذتهم واعلم بكف نبيه من تالفهم واحتسبه بموتهم : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ

فوقعت القرعة على النبي يونس: فساهم. فكان من المدحضين.
(٣٧ : ١٤١)
واى شئ كان سبب الاباق ؟ هو خجله عند قومه ؟ او كان لسبب آخر .

ذكر فى سورة الصافات ان النبى يونس ارسل مرتين. مرة فى قوله: "وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ". كان مرسلا حين ابق. ومرة فى قوله: "وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ." . والظاهر ان يكون تكرار بيان الارسال لتكرار الارسال . ولم يكن فى الكتاب الكريم تكرار بيان الارسال الا فى النبى يونس عليه السلام .

الثالث فى سورة الانبياء: "وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا (٨٧) بين كتب العهد العتيق كتاب للنبى يونس بين فيه سبب المغاضبة . نقلته فى كتابى ترتيب السور الكريمة . (٩٧) . فان يونس كان الله ارسله الى بنى اسرائيل . وَإِذْ أَرَادَ أَنْ يرسله الى غير بنى اسرائيل حسد غير اليهود على الهداية . فذهب مغاضبا وابق الى الفلك المشحون" (٢١ : ٨٧) (٣٧ : ٤٠) . رأيت بيان صاحب الواقعة احق . لان كل احد ادرى بما فى قلبه . وما فى التفاسير هوى كلامى قد حدث . لا يقضى على الكتاب الكريم خصوصا اذا احتاج الى زيادة شئ فى نظم الكتاب الكريم . والا الطبرى فى تفسيره قال "مُغَاضِبًا لِرَبِّهِ" ؛ وروى ان النبى الكريم صلى الله عليه وسلم قال : نبذ الله فرعون فى اليم فقال : "لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ" فقال لى جبرائيل يا محمد لو رأيتنى وانا آخذ من حال البحر لأدسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة . " . ومثل هذا غيرة لله وغضب لله . وقد حكى الله فى سورة يونس دعوة موسى وهارون

(٣٥) قصة ذى القرنين فى سورة الكهف (٨٣ : ٩٨)
مثال هاد مرشد لاهل الاسلام . ولله فى مستقبل الاسلام اذ واء قرنين
واذ واء قرون ، ان شاء الله . ولنا امل ورغبة فى ما فعله ذوالقرنين
فى زمنه . وليس فى تعيين شخصية ذى القرنين فى نظرنا من فائدة.
وليس علينا من بأس إِنْ أَبْهَمْنَا ما ابهمه اللهُ وابهمه نبيُّه وكتابُه.
ونكون ممن قعد وَتَوَلَّى إِنْ لَمْ نَسْعَ الى ما تلاه النبى الكريم ذكرًا من
ذى القرنين .

(٣٦) هدانى الله الى ان اذكر كل هذه الفصول المتاخرة (
لان كون نبى الرأفة والمرحمة نبى الملحمة ايضًا اَجَلُّ ثناء واعظم فضيلة
لنبى الاسلام ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وصاحبيه وسلم ، لم تكن
لاحد من الانبياء والرسل قبله .

(٣٧) النبى يونس عليه السلام ذكره الكتاب الكريم فى سورة الانبياء
الاول فى تتمة سورة القلم : « فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ
الْحُوتِ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَهُوَ مَكْظُومٌ » . خاطب نبيه الكريم فى ادب
حسن حميد حكيم ، بعد ان اثنى عليه فى اول هذه السورة بقوله
« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » . وكان النبى يونس عليه السلام اوعد
قومه بالعذاب ولما تاخر العذاب اوجس فى قلبه خِيفَةً خُلْفَ وَعْدِهِ
وخاف ظهور كذبه . فخرج من بين قومه ولم يصبر وامتلأ قلبه
غيظًا وكربًا .

الثانى فى سورة الصافات : « وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ
أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ » (٣٧ : ١٣٩) - ابق الى البحر وركب الفلك
المشحون . والاقرب ان يكون الفلك مشحونًا الى حد لا يتحمل الزيادة .
فاضطرب الجماعة . ولم يجد صاحب الفلك حيلةً الا الاقتراع .

بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ"
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا . وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ." (٢ : ٢٥٣)

فالقتال والحرب على وجه الارض ضرورة دبرتها الحكمة الالاهية وضرورة شرعها الاسلام لمصلحة . وهي باقية ماضية الى يوم القيامة.

وتقدم في الفصلين (٢٩ : ٣٠) ان الجهاد لم يشرع في الاسلام لاكراه الناس على الايمان ، ولم يشرع قتل احد لاكراهه على قبول الايمان. وان النبي الكريم في الدعوة الى الاسلام لم يتوسل ولم يتذرع بالسيف اصلاً .

(٣٤) مسألة الجهاد في شرع الاسلام مسألة حكيمة جليلة. وفي الفصول المتأخرة (١٩ : ٣٣) مددت بعض انفاسي في بيانها لجلالة شرفها . وهي حكيمة في شرع الاسلام ، وهي جليلة في الحكمة الالاهية اذ دبرتها حكمة الله لصلاح الانسانية : ولولاها لفسدت الارض : " وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ . وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ " (٢ : ٢٥١) و في الجهاد ، الذي دبرته حكمة الله ، فضل على العالمين عظيم في صلاح الانسانية وفي ارتقائها في مدارج الادب وفي العلوم والصناعات .

لايستوي قاعد ومجاهد . ولن يكون لامة عزة وشرف بين الامم الا بقوتها ومجهادها . ولن يكون لامةٍ شأنٌ ومُلكٌ بين الامم الا بالقوة : " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ " (٨ : ٦٠)

" وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ." (٨ : ٦١)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ." (٢ : ٢٠٨)

كل هذه بعد اعداد قوة بها عزةُ الاسلام ومُلكُ أُمَّتِهِ . واذا نزع الله الملك من امة فهي ذليلة . (٣ : ٢٦)

والشرع الحكيم يبالغ فى حقوق الفرد ، يجعلها مثل حقوق الامة كلها . انتفاءً وثبوتًا . فامن الفرد امن الامة . والخطر على الفرد خطر على كل الامة . فجعل الكتاب الحكيم قتل الواحد قتلاً للكل .

فلا يكون لحاكم ولا لمحكمة عفو القاتل . وانما الامة ترث دم القتيل.

(٣٣) واى شئ يقول اهل العلم ان قلت : ان نبأ ابنى آدم فى الكتاب الكريم تصوير لادب الانسان فى بداية الانسانية (الابن الآخر) ولادب الانسانية فى نهايتها . (احد الابنين)

فاذا بلغ وارتقى ادب الانسانية الى ان تقول : "إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ." فلا يبسط أَحَدُ يَدَيْهِ لقتل الآخر . فلا يقع على وجه الارض قتل ولا حرب .

"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ."

ويميل قلبى الى ان ارى فى " نبأ ابنى آدم " ان الله جل جلاله بَيَّنَ اصل الحرب ومنشأها على وجه الارض فى فجور النفس الذى لهمه الله فى طينة الانسان . ولم يجعل الله لا فى شرعه ولا فى حكمته للاهية تقوى النفس دافعةً ولا رافعةً للفساد من وجه الارض.

ولا يرفع الفساد من وجه الارض ولا يدفعه الا القوة فى مقابله.

"وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢ : ٢٥١)

"إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا . إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ." (٢٢ : ٣٨)

"وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ." (٢٢ : ٤٠)

"وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا . فَإِنْ

وذكر الكتاب الكريم فى احد ابنى آدم قوله : « إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . »

مَا أَنَا بِبَاسِطٍ - وانما يبسط يده لتقتلك غيرى : حاكم المجتمع على قانون القصاص ، او يسلط عليك الله من يقتلك . على حسب عدل مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ .

والكتاب الكريم تدارك قول احد ابنى آدم بالحق بقوله : « مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا . »

« مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ » بغير قصاص لقتله نفساً ظلماً . « أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ » والفساد فى الارض : قطع الطريق ، سفك الدم ، هتك الحرمات ، نهب الاموال ، البغى على عباد الله ، هدم البنيان ، قطع الاشجار ، حرم الناس من الماء . كل هذه فساد فى الارض . يقيد الكتاب الكريم الفساد بنوع . فاطلقته .

(٣٢) وهذه الآية الكريمة من سورة المائدة (٣٢) فى متناد الارتباط فى نظام المجتمع وفى عظيم التكافل فى الحقوق اعجب واحكم .

« فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا » . - « فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا »

ما هذا التشبيه البليغ المبالغ ؟ فانا نعلم ونرى قتل النفس ، وما معنى احياء النفس . ولم نشاهد أن أحدا من الناس احيا نفساً ، او احيا الناس .

الناس جماعة الامة فى المجتمع وفى هيئة الدولة . فكل فرد من امة وكل فرد من هيئة الدولة خصم للقاتل فى دم المقتول . ومن قتل فرداً من الامة فقد قتل الامة وقتل من قصد الى قتل الامة جميعاً .

ولم يقل الكتاب الكريم: " سَلْهُم " - بل قال " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ ". لان القصة في القرآن الكريم نزلت تذاركاً لما جاء في التوراة، ونزلت بالحق الذي غاب عن اعين اليهود. وفي اكثر قصص القرآن الكريم تدارك على ما في الكتب السابقة.

والكتاب الكريم في سورة المائدة ذكر قبل هذه الآيات الاربع ادب اليهود في الظلم والبغي والاعتداء على النبي موسى وعلى ربه بامثال قولهم: " اِذْهَبْ اَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا اِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُوْنَ ". وذكر في سائر السور بخل اليهود على سائر الناس، وحسد اليهود فضل الله على الناس كافة: " اَمْ لَهُمْ نَصِيْبٌ مِّنَ الْمُلْكِ. فَاِذًا لَّا يُؤْتُوْنَ النَّاسَ نَقِيْرًا. اَمْ يَحْسُدُوْنَ النَّاسَ عَلٰى مَآ اٰتٰهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ ". سورة النساء ٥ وذكر الكتاب الكريم في اول هذه الآيات الاربع (٢٧: ٣٠) مثالا لادب اجداد اليهود في البغي والاعتداء والبخل والحسد ادب الابن الاخر من ابناء آدم الذي قتل اخاه بخلاً وحسداً وبغياً.

وقد كان الكتاب الكريم ذكر في الآيات العشر الاول من سورة الشمس: " وَنَفْسٍ وَّمَا سَوّٰهَا فَاَلْهَمَهَا فُجُوْرَهَا وَتَقْوٰهَا. قَدْ اَفْلَحَ مَنْ زَكّٰهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسّٰهَا. " (٩١: ١٠)

ذكر الكتاب الكريم ان الله جل جلاله قد زرع حبات فجور النفس في طبيعة الانسان بالهامه وحكمته، وزرع حبة تقوى النفس في طبيعة الانسان بالهامه وحكمته فقال: " فَاَلْهَمَهَا فُجُوْرَهَا وَتَقْوٰهَا. " وقال ان الابن الاخر طوعت له نفسه " الفاجرة وسهلت له قتل اخيه. فقتل اخاه ثم اجرى بدم من قتل اخيه. وانه ندم على عجزه من دفن سوأة اخيه " قَالَ يٰوَيْلَتٰى اَعَجَزْتُ اَنْ اَكُوْنَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرَابِ فَاُوَارِيَ سَوْاَةَ اَخِيْ. فَاَصْبَحَ مِنَ النّٰدِمِيْنَ.

بدرٍ واقوى . وعدالله نبيه ان تكون احدٰى هاتين الطائفتين له ولاصحابه
وَوَدَّ اصحابُ بدرٍ اَنَّ العيرَ كانت لهم وان القتال صرف عنهم .
" وَيُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمٰتِهٖ ". - ان يقيم على وجه الارض
الاسلام وتعاليمه الحقة بكتابه وآياته البينة . لا بسيفه .
" وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكٰفِرِيْنَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ . " وير يد الله
ان يقطع دابر الكفر ودابر الكافرين بسيفه لابطال الكفر ولابطال نظام
الباطل لاقامة الاسلام ولاقامة نظامه العادل الصالح .

هذه هي الغاية الالاهية العالية من شرع الجهاد في الاسلام .
لم يشرع الجهاد في الاسلام لاكراه الناس على الايمان . ولم يشرع قتل
احد لاكراهه على قبول الاسلام . " لَآ اِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ . "

(٣٠) السيف في الظلم والاعتداء والفساد شر شئ ملعونٌ .
اما في رفع الفساد ورفع النظام الفاسد ، وفي دفع الظلم ودفع اعتداء
المعتدي فالسيف خير شئ مقدسٌ .

وليس للسيف لمجرد جوهره حكم . وكونه خير شئ مقدس او
شر شئ ملعون تابع للمقصد . في الظلم شر شر ، وفي دفع الظلم
ودفع الفساد خير خير .

والكتاب الكريم الحكيم والنبي الكريم الرؤوف الرحيم العظيم في
الدعوة الى الاسلام لم يتوسل ولم يتذرع بالسيف اصلاً .
" وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس . وليعلم الله
من ينصره ورسله بالغيب . " (٥٧ : ٢٥)

(٣١) والله جل جلاله في كتابه الكريم في آيات سورة المائدة امر نبيه
ورسوله ان يتلو " نَبَاَ ابْنَيْ اٰدَمَ بِالْحَقِّ " (٢٧ : ٣٠) . على اليهود وعلى
اهل الاديان . وقصة تكوين التوراة في " نَبَاَ ابْنَيْ آدَمَ " حكيمة عجيبة .

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ". سورة الانفال ". (٦٨ : ٦٩)

واذ كان مراد الله قطع دابر الكفر وابطال نظامه الباطل خص العذاب باخذ الفداء، فقال: "لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ". وقتل الاسير اذ كان موافقاً مراد الله فى قطع دابر الكفر لم يجعله الكتاب الكريم سبباً لمس العذاب العظيم.

واذ كان الله جل جلاله ملأ قلب نبيه بالرأفة والرحمة لامته راعى الله مايرضاه نبيه ومايهواه حبيبه، فلم يمس الامة عذاب عظيم. وقال الله جل جلاله: "فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا". احل لهم ولم يعذبهم. اذ سبق منه "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ" (٣٣ : ٩)

(٢٨) واقعة بدر هى اول حرب وقعت فى صدر الاسلام، واول حرب فتحت باب العزة على وجه الاسلام، واول واقعة عوتب فيها المجاهدون بالطمع ومد الاعين الى امتعة الاعداء بقول الله: "وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ"، وعوتب المجاهدون بارادة عرض الدنيا - تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ. سورة الانفال اول سورة نزل فى آياتها الكريمة بيان الغاية الالاهية من شرع الجهاد فى الاسلام، ونبى الاسلام نبى الرحمة والرأفة والمرحمة. والتوراة قد بشرت به فى قولها: "وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ. مَعَهُ رِبْيَوْنَ أَطْهَارٌ فِي يَمِينِهِ سَيْفٌ مِنَ النَّارِ". والتوراة وصفت نبى الاسلام بانه نبى الملحمة. "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" "أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى". طه (١٣٢)

(٢٩) "وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ". سورة الانفال الطائفتان: ١) عير قريش من الشام. تحمل الميرة وامتعة التجارة ولم يكن للعير قوة تدافع عنها. ٢) نفير قريش. وهم اكثر من اصحاب

ولم يشرع عمل فى الاسلام الا لله ولوجه الله ولرضى الله . فان اتى به المؤمن واشرك فى نيته غرضاً آخر فالعمل لا يكون لله ولوجه الله . ويكون العمل مردوداً ، وبعده الشرع عملاً لذلك الآخر. يعتبر العامل مشركاً بنص محكمات القرآن الكريم. والله غنى عن كل عمل اشرك العامل فى نيته غير رضى الله ، عرضاً من اعراض الدنيا . والعمل يعد عملاً لذلك العرض . لا لله .

هذا معنى قول الله : "مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ. وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا . وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٤٢ : ٢٠) "، تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ . (٨ : ٦٧)

والآخرة فى هذه الآية الكريمة هى قول الله : "وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ . وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ" (٨ : ٧) فالآخرة على تفسير هذه الآية هى عزة الاسلام وغلبته ، وابطال الكفر لابطال نظامه الباطل .

ونوال الغنائم والاستمتاع بالافدية لم يكن مراداً لله ، ولا لرسوله فى غلبة بدر . وَإِذْ فَادَوْا واستمتعوا بالافدية تأخر كمال الآخرة ، وتحقق قول النبى الكريم: "إِنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمْ وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِالْفِدْيَةِ ثُمَّ لَيُسْتَشْهَدَنَّ مِنْكُمْ بِعِدَّتِهِمْ ."

وقد وقع اقتصاص فى أُحد ، و فى غزوات بعد بدر . ثم تأخر كمال الآخرة الى فتح مكة

(٧ م) والنبى الكريم الرؤوف الرحيم بعد ان استشار الصحابة الكرام فى اسرى بدر ، وَبَعْدَ أَنْ عرف ميول الصحابة ، تألف قلوب الصحابة الكرام فقال : "مَا شِئْتُمْ فَلَكُمْ." فقتل البعض اسيره ، واخذ البعض الفداء من اسيره . فنزل : "لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا . وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ

وما تأخر .

قيل : هو قول الله فى كتابه الكريم : " وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ . (٦ : ٥٤)

قيل : هو حكم الله ان لا يعذب الله احدا بذنب فعله جاهلاً .

(٢٤) قيل : ان الكتاب الذى سبق من الله يمكن ان يكون حكم الله بحل الغنائم .

وذلك ان دم كل احد ومال كل احد فى حكم شرع الاسلام معصوم عصمةً ذاتيةً . لا يحل لك ان تستحل دمَ احدٍ ولا ماله الا اذا استحل هو دمك او استحل مالك " مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا . " (٥ : ٣٢) .

(٢٥) وما احل الله الغنائم ولا احل اخذ الفداء من اسير يفتدى فى سبيل نجاته الا اذا كان فى حرب الدفاع : فى دفع اعتداء المعتدى ، او فى حرب رفع الفساد السائد لاجل اقامة النظام الصالح العادل .

(٢٦) اما فى جهاد الدعوة فالمجاهد الذى يجاهد فى سبيل الله ينصر الله وينصر رسوله ، فشرع الاسلام رفع قدر ايمان المؤمن من ان يطمع فى غنيمةٍ ، ومن ان يريد عرض الدنيا . ليكون ايمان المؤمن فى جهاده خالصا من شرك الطمع .

" أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ . " " مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . " " تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ . " " وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ . " " يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . "

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ . وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى . فَمَنْ كَانَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ . وَمَنْ كَانَ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ . "

وقد استشهد منهم عدد فى أحد . وكان آخر السبعين ثابت ابن قيس . استشهد باليمامة . والاستشهاد لاجل اخذ الفداء شاهد عادل امين كبير فى عدل الاسلام وفى علو احكامه وثباتها على الدوام

(٢٢) تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا . وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ " هذه الجملة الجليلة ارشاد فى السياسيات والاجتماعيات جليل جميل حكيم.

عرض الدنيا فى هذه الآية الكريمة يعرفه كل احد . وما هو عرض الآخرة الذى يريده الله العزيز جل جلاله ؟

واعتقد يقين اعتقاد وأؤمن ايمان علم ان الآخرة هى حكمة الشارع وغايته الاصلية الالاهية من شرع الجهاد . ولم شرع الجهاد الا "لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ . يقول الله :

" وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ . وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ . وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ . وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ .

يريد الله ان يحق الحق بكلماته لا بسيفه . ويريد ان يقطع دابر الكافرين ، ويبطل الباطل بسيفه ، لا بمجرد كلماته . هذه الآية الكريمة تفسر سائر الآيات . فالآخرة هى عزة الاسلام وهى غلبة الاسلام وابطال الكفر وابطال نظامه الباطل .

(٢٣) " لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " (٨ : ٦٨)

ما هذا الكتاب الذى سبق من الله ؟

فيه لاهل العلم اقوال . وكل قول يمكن ان يكون صحيحاً . والبعض اصح واحكم من بعض .

قيل : هو وعد الله نبيه ان يغفر لاهل بدر ما تقدم من ذنوبهم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ اللهَ أَمْكَنَكُمْ مِنْهُمْ . فَمَا تَرَوْنَ فِيهِمْ ؟ فقام ابوبكرؓ فقال يارسول الله قومك واهلك . فاستبقهم . لعل الله يتوب عليهم. وقام عمر الفاروقؓ وقال يارسول الله ، كذبوك واخرجوك وقاتلوك. قدمهم واضرب اعناقهم . والعباس عمٌّ النبي عليه الصلوة والسلام سمع قول الفاروقؓ فقال قد قطعت رحمك ! فدخل النبي الكريم، ولم يرد على احد شيئا . ولعل ذلك كان لان كلام كل من الصديقؓ والفاروقؓ كان معقولا موجها . فقال جماعةٌ : يأخذ بقول الصديقؓ ، وقال جماعةٌ يأخذ بقول الفاروقؓ . وخرج النبي الكريم الرؤوف الرحيم فقال : ان الله ليلين قلوب رجال في الله حتى تكون ألين من كل لين ، وان الله ليشدد قلوب رجال في الله ، حتى تكون أشد من الحجارة . مثلك يا ابابكرؓ مثل ابراهيم عليه السلام ، اذ قال : " فمن تبعني فانه مني . ومن عصاني فانك غفور رحيم " . ومثلك ياعمرؓ مثل نوح عليه السلام اذ قال : " رب لا تذر على الارض من الكفرين ديارا " . ومثلك ياعمرؓ مثل موسى عليه السلام ، اذ قال : " ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم "

ثم قال النبي الكريم لمن بايديه من الاسرى : " انتم عالة . فلا ينفلتن احد منكم الا بفداء او بضرب عنق . " وقال عبد الله بن رواحة : الا سهل بن بيضاء . فسكت رسول الله . ثم قال الا سهل بن بيضاء . فانزل الله الآيات (٦٧ : ٧١) في سورة الانفال .

(٢٣) روى الحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه عن علي رضي الله تعالى عنه : ان النبي الكريم قال للناس في يوم بدر : " إن شئتم قتلتموهم . وإن شئتم فاديتم واستمتعتم بالفداء . ثم يستشهد منكم بعدتهم . "

الذى اغتر بنسبه وماله واستغنى عن الحق وعن الاهتداء. بدلالة قول الله « قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ »؛ فان الوجه المليح وجه النبى الرؤوف الرحيم لم يرَ أحدٌ على وجهه الا ملح اثر عبوسة اصلاً . واشتغال النبى الكريم بشئ عن آخر لا يعبر عنه الكتاب الكريم بالتولى . فان التولى هو الفرار والاعراض عن الوظيفة . والنبى الكريم فى تصديه لذلك المتكبر المستغنى كان مشتغلاً بوظيفة تبليغ رسالته الكبير من سناديد قريش رجاء اهتداء قريش .

اقول ذلك . وهذا هو ادب الامة فى فهم معنى الكتاب الكريم وفى احترام النبى العظيم .

ولعل قائلاً من اهل الادب يقول : ان الكتاب الكريم عبر عن عمل النبى فى تلك الحادثة بالتولى على اسلوب المزاوجة مثل « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ » لان طغيان ذلك المتكبر كان اعظم قولاً وكان اعراضاً وفراراً عن حق وواجب .

ونحن لا نستجيز التعبير على اسلوب المزاوجة الا اذا حصل به معنى حكيم مرغوب مطلوب . مثل قول الله « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ » فانا طلاق السيئة على الجزاء المشروع الحق ارشاد الى فضل العفو . « وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى » .

(١٩) ومن الآيات الكريمة التى نزلت بثناء عظيم على نبيه الكريم فى تألفه القلوب قول الله جل جلاله فى سورة الانفال : « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى » (٦٧ : ٦٩) ثلاث آيات .

سبب نزول هذه الآيات الجليلة ، وقصة استشارة النبى الكريم الصحابة الكرام فى الاسرى يوم بدر مستفيضة حكيمة ، فيها عبر مؤثرة وفيها فوائد علمية سياسية اجتماعية .

(٢٠) دعا النبى الكريم الصحابة الكرام ، فقال :

تضمنته كتب الاولين . والقرآن الحكيم بكل آياته الكريمة يشهد بكمال وفاء النبيّ بعهد الله وبوصيته . حتى يحقق لعبده ورسوله وصف نبي الرحمة لثباته على الوصية ، ووصف نبي الملحمة لامضائه عدل الله ، ولاقتضائه حق الله .

والله جل جلاله بكتابه العظيم الكريم رفع قدر نبيه من ان يضع رحمة الله موضع استحقاق نقمه ، ومن ان يضع نقم الله موضع رحمته وهذا اعظم ثناء من الله واجل تزكية واكبر شهادة . لم يكن لاحد قبله.

(٨) كان النبي الكريم الرؤوف الرحيم لا يزال يتألف قلوب صناديد قريش ، ويستميل قلوب كبار القبائل . حتى يكف على ترك ذلك بخطاب عَلِن . وقد نزل فيه كل سورة عبس.(٨٠ : ١-٤٢) فان القصد الاول في التعليم وفي تبليغ الرسالة انما هو تعليم من جاء يسعى وهو يرغب ويخشى . والله جل جلاله في كتابه الكريم يقول: " سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ . " والمغرور بدعوى شرف نسبه ، او بعلو حسبه ، او بكثرة ثروته فتكبره بكل واحد من هذه غير حق . وكله باطل .

والنبي الكريم تصدى لكبير قبيلة قد استغنى رجاء اهتداء القبيلة باهتداء كبيرها . وما تلهى عن الاعمى الا زمناً يسيراً لان النبي الرؤوف الرحيم كان يعرفه وقد كان يتوسم فيه الخير . فانظره الى ثوانٍ قليلة لينال الاعمى شرف الصحبة . فكان عمل النبي الكريم سبب نزول سورة مفردة اثنى بها الله على نبيه العظيم وكرّم بها الاعمى ومن يعمل مثل عمله تكريماً لم يكن ليصير .

ومن عبس ؟ ومن هو الذي تولى ؟

يمكن اقرب امكان ان يكون ضمير الغائب كناية عن ذلك المتكبر

اذلم يفهم الفاروقؓ صحة المعنى الحقيقي ايضاً . فاجتراء الفاروقؓ على رسول الله ، وتبسم النبي الكريم في جوابه ، ثم تأخيره بقوله النبوي: « انى قد خيرت هذه الامور الثلاثة يمكن ان يتخذها الفقيه اصلاً مُهمًّا في الاجتهاد في اصول الفقه ، ويمكن ان يتخذها اهل الادب اصلاً في المعاني والبيان .

(١٦) من الآيات الكريمة التي نزلت باثنية من الله العزيز الحميد على نبيه الرؤوف الرحيم : قول الله « فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا » . وقول الله « لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » . وقول الله : « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ » . وقول الله: « وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ . فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ . إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ » . وقول الله : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا . أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » . وقول الله : « فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ . فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ .

ومعنى كل هذه الآيات وامثالها : لا تتوقف لطلب الرحمة لهم ، كما يتوقف الممترى في الشئ ، وكما يتوقف الشاك فيه . فهذه الآى وامثالها يسمعها العالم يواقعها على اكراه النبي الكريم نبي الرأفة ونبي الرحمة حتى يرجع الى امضاء عدل الله والى اقتضاء حق الله .

(١٧) فالله جل جلاله يثني على نبيه وعبده الكريم بكل آيات كتابه الحكيم وبكل قرآنه العظيم . والقرآن الكريم عظيم قد جمع كل ما

قوى الحرص على رشدهم ونفعهم : "عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ."

(١٢٤) والمعنى الحقيقى فى آية الاستغفار فى سورة المنافقين وسورة التوبة هو الاذن والاباحة والتخيير فى الاستغفار وفى ترك الاستغفار. وقول الله " سَبْعِينَ مَرَّةً " فى آية سورة التوبة تحديد بمقدار معناه خاص قطعى لا ينصرف عن حقيقته الا لضرورة ولقرينة.

والنبى الكريم الرؤوف الرحيم فهم فهم النبوة من نظم هاتين الآيتين اذن الاستغفار. وجعل نفى المغفرة مقيداً بقيد السبعين فقط. فاستغفر لابن أبى وقام وصلى على قبره. ورأى التمسك فى النظم والتحديد بالمعنى الحقيقى اولى واوفق لما فى الرأفة والرحمة بالخليقة اجمل سيرة و احسن طريقة. والامام عمر الفاروق، اذ لم يفهم فى النظم والعدد الا المعنى المجازى اجترأ على النبى الكريم، واخذ يعدد اقوال ابن ابى وايامه فى نفاقه، والنبى الكريم يتبسم. حتى اذا اكثر عمر فى كلامه، قال يا عمر اخر عنى انى قد خيرت، فقيل لى: "اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ. إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ." فان اعلم انى ان زدت على السبعين غفر له، لزدت عليها.

(١٢٥) النبى الكريم الرؤوف الرحيم عمل بالمعنى الحقيقى فان المعنى الحقيقى اوفق بخلقه العظيم واثبت لخطاب الوصية. والفاروق، وله موافقات لحكم الله، كان فهم المعنى المجازى فى النظم والعدد، ووافق فى هذه المرة لخطاب الكتاب على سنة الله فى الاولين.

وهذا اصدق شاهد وادل برهان على كون المعنى المجازى والمعنى الحقيقى مصبباً فى كلام واحد بليغ معجز. فان الكلام لله، والعمل بمعناه الحقيقى لنبيه ورسوله، والمعنى المجازى الذى اقره رسول الله ووافقه خطاب الكتاب الكريم لأفقه خليفته. النبى الكريم اقره بالتبسم. واخر

وفطر نبيه عليه ، وخلاف ما وصى به الله حبيبه . فكان النبي الكريم اذ نزل عليه آي من الكتاب على امضاء عدل الله وعلى اقتضاء حقه الشرعي ترقب تخفيفه وترجى تيسيره . حتى يعلن عليه بالعزم في اخذه وبالتزام حكمه في امضاء عدله واقتضاء حقه . فحينئذ يقوم لله به . ويظهره في امضاء العدل وفي اقتضاء الحق الشرعي .

(١٢) فيكون له صلى الله عليه وآله وسلم في خطاب التشديد عليه في اخذه بالعدل وبالحق اعظم مدح وابلغ ثناء من الله . ضِدَّ ما يتوهمه الجاهلون : انه عتابٌ . بل هو ثناء على عبده وحبيبه بعظيم ثباته على الوفاء بعهد الله وبالوصيَّة . فان النبي الكريم لم يكن ينصرف عن حكم الوصية الى حكم الكتاب بالحق الا عن عزم من الله واشارة . فالنبي الكريم محمودٌ بهما ومنهما عنه . لان خطابه في القرآن الكريم ابداً فيهما بين الفضل والعدل . وخطاب سائر الناس في ما بين العدل والجور .

(١٣) من الآيات الكريمة التي نزلت من باب خطاب الوصية: قول الله " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ . اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ " (٤١ : ٣٤) وقول الله : " اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ . نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ " (٢٣ : ٩٦) وقول الله : " وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ " (٢٨ : ٥٤) .

" خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ . وَاَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " (٧ : ١٩٩)

" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ . فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ . وَشَاوِرْهُمْ فِي الْاَمْرِ " (٣ : ٥٩)

" سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ اَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ . لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ

" اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ . اِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ " (٩ : ٨٠)

كان النبي الكريم شديداً شاقاً عليه عنتهم وتعبهم . وكان

العظيم من بابين :

من باب خطاب الوصية على وفاق خُلقه العظيم. والوصية اللدنية هي التي كان النبي تلقاها من لدن حكيم عليم بلا واسطة "ذٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ" (٣ : ٥٨).

والوصية تكون من فضل الله على عباده وِفاقاً على خُلق نبيه العظيم اذ ارسله رحمة للعالمين برحمته وجماله :

من باب العزة من باب خطاب الكتاب على وفاق سنة الله في الاولين . ليكون دين الكتاب الكريم وشرع القرآن العظيم جامعاً بين فضل الله ورحمة الله للعالمين وبين عدل الله العزيز العليم الحكيم على وفاق سنة الله في الاولين . ليكون شرع الاسلام جامعاً بين جمال الله وجلاله .

(٩) فكلُّ ما نزل من باب خطاب الوصية على الوجه الذي جبل عليه وبعث له ووصى به تعاضدت فيه الوصية اللدنية وخطاب الكتاب . وقَبِلَهُ النبي الكريم الرؤوف الرحيم طبعاً وحالاً وعلماً وعملاً . ولا تكون له عثرة . لتظافر الامرين وتوافق الخطابين : خطاب الوصية اللدنية وخطاب العزة الإلاهية .

(١٠) وهذا الوجه من التنزيل خاص بالقرآن العظيم . والقرآن العظيم اختص الله به عبده ورسوله خاتم النبيين محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وصاحبيه . ولم يُؤْتَهُ احد قبله

"وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" (١٥ : ٨٧)

آتيناك ، لا احداً غيرك من الانبياء والرسل قبلك .

(١١) ومن آيات الكتاب الكريم ما انزل على حكم عدل الله واقتضاء الحق على سنة الله في الاولين . وذلك خلاف ما جبل الله

لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيْمٍ." وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيْمًا ." ليس يوجد في السنة كل العالم مقياس يمكن تقريب حد عظمته به . الا " لا حَدَّ له ولا نهاية

(٦) وهذه الآيات الكريمة وكل متشابهاتها في الكتاب الكريم قد جاء تفسيرها ببيان سهل مفهوم لكل احد في مارفعه اليه اهل الحكمة واهل الاعتبار واهل الاشارة : ان النبي الكريم قال بلسانه الحكيم:

" اَدَّبَنِيْ رَبِّيْ فَاَحْسَنَ تأديبي اذا وصاني من لَدُنه ولم يكن واسطة بسبع خصالٍ: ١) بخشيه الله في السِّرِ والعلانية، ٢) وان اصل من قَطَعني، ٣) واصفح عن من ظلمني، ٤) واعطي من حرمني، ٥) وان يكون نُطقي ذكراً، ٦) وصُمتي فكراً، ٧) ونظري عبرةً

فكان النبي الكريم الرؤوف الرحيم، بحكم ما فطر وجبل عليه، وبحكم ما بعث ووصي به، ملتزماً لكل هذه الخصال السبع كان يعفو من ظلمه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه . الا اذا اعلن له ترك ذلك عزمًا، وعزم الله عليه ان يرجع الى حق العدل والى الاقتصاص في المواخذة بالحق والعدل على وفاق سنة الاولين .

(٧) اَللهُ جلَّ جلالهُ له في كتابه الكريم وصفانِ: ١) وصف جمالٍ، ٢) وصف جلالٍ :

" عَذَابِيْ اُصِيْبُ بِهٖ مَنْ اَشَآءُ . وَرَحْمَتِيْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ "

" نَبِّئْ عِبَادِيْٓ اَنِّيْٓ اَنَا الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ وَاَنَّ عَذَابِيْ هُوَ الْعَذَابُ الْاَلِيْمُ " سورة الحجر (٤٩ : ٥٠)

" اِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ وَّذُوْ عِقَابٍ اَلِيْمٍ (٤١ : ٤٣)

(٨) فكانت آيات الكتاب الكريم تنزل على النبي الحكيم ذي الخلق

سورة التوبة آخر سورة نزلت بالمدينة. فى اول يوم من شوال السنة التاسعة من الهجرة. خاتمة التوبة فسرت تفسيراً حكيماً اول آيات فى ثانى سورة نزلت بمكة فى اوائل السنة الثالثة من المبعث، "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ." (٦٨ : ٤) وذكرت من اخلاقه العظيمة بعض ما يكون به رسوله رحمةً للعالمين، وبركةً وهدايةً، ويكون به صلاح العالمين على وجه الارض، وسعادة كل العالم فى العاقبة.

والآيات الثلاث (١٠٧ : ١٠٩) من سورة الانبياء التى نزلت فى اواخر عهده بمكة بينت واثبتت ثابت شجاعته عند قوة اعدائه. والنبى الكريم لم يكن له فى ذلك العهد قوة وعدة يراها اعداؤه القوية. وقد اوعدهم وآذنهم بقوله: "فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ. وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ"

وخاتمة سورة التوبة اعلنت عظيم كرمه وغاية احسانه وهو غالب عزيز بيده كل القوة واشد اعدائه ذليل عنده كل الذلة. "فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ. لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ. عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ."

ولم يكن على وجه الارض من رسول فاتح عزيز غالب قاهر كان له مثل هذا الكرم والاحسان وعظيم الشهامة والهمة.

ولم يكتب احد ممن كتب سيرة صاحب القرآن العظيم كتاب سيرة مثل ما اثنى الله جل جلاله عليه فى كل آيات كتابه الكريم.

(٥) "وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ. وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ. وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا." (٤ : ١١٣)

والذى عظمه الله فى القرآن العظيم بكلمات الالاهية: "وَإِنَّكَ

رحمته للعالمين . وعلّمه ، وبه وببركاته علّم كل العالم مالم يكن يعلمه احد قبله . وهذا ثناء من الله عظيم لم ينزل لأحد وفى احد من الرسل والانبياء قبله

(٣) نُونٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ .

اقسم الله جل جلاله فى اول ثانية سورة نزلت فى آياتها الاربع " وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ " . وَخُلُقٌ عَظَّمَهُ الله الملك العزيز العليم لايكون الامن اعلى الاخلاق وافضل الاوصاف واحسن الملكات واكمل الكمالات . ولم يثن الكتاب الكريم بمثل هذا الثناء العظيم على احد الا على من اتخذه الله جل جلاله رسولاً اليه فى قوله : " فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . " (٨١) . فالثناء بمثل هذا الثناء على رسوله روح القدس توطئة تمهيداً وتوسلاً بها الى الثناء على صاحب الكتاب الكريم الذى اصطفاه رسولاً رحمة للعالمين .

ذكر الله جل جلاله مثل هذا الثناء فى اول سورة من كتابه العظيم ليبين ان دين هذا الكتاب يكون مؤسساً مبتنياً على احسن خلق عظيم .

(٤) آخر آية نزلت فى آخر سورة نزلت فى كتابه الكريم خطاباً للناس كافة وخطاباً للعالمين جميعاً هى قول الله جل جلاله : لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ . وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . " (٩ : ١٢٨)

اريد في هذا الفصل الفرد ان اثبت بهداية الله ان الله جلّ جلاله اثنى ويثني على عبده ورسوله باعظم اثنية في كل آيات كتابه العظيم .

وكان من احسن ادب الكتاب الكريم في الثناء على عبده ورسوله انْ لم يأتِ في آية من آياته بعبارة تسوية وبعبارة تفضيله على احد من عباد الله . وان ذكر تفضيل اليهود على العالمين ، وان نزل في الكتاب الكريم آيات في معنى قول الله : " تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ " ولم يسم الكتاب الكريم احداً . واذ ذكر الرفع لم يذكر فوقية المرفوع على البعض الآخر .

هذا ادب حسن نزيه جليل . لا يراعى مثل هذا الادب الا العزيز العليم الحكيم ، وهذا فضيلة لم تكن الامين : " ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ . "

(٢) اول آيات واول سورة نزلت وفتحت باب الرسالة على عبده وفتحت كل ابواب الرحمة على العالمين هي سورة العلق .

عظم عبده ورسوله في هذه السورة غاية تعظيم واجلّه اعظم اجلال بتخصيص خطاب العزة وخطاب العظمة ثلاث مرات على ذاته الكريمة وباضافة ربوبيته وكرمه اضافة تمدح الى نبيه الذي اصطفاه رحمة للعالمين . وذكر من آثار كونه رحمة ومن آثار ربوبيته وكرمه القراءة والكتابة وتعليم ما لم يكن يعلم .

والانسان في السورة نوع البشر . واذ لم يضمره في الخامسة فالاغلب انه هو عبده الذي فتح له باب رسالته وفتح به ابواب

قلوب امته الكريمة المعصومة بحفظ الله جل جلاله .

" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . " (١٥ : ٩)

والقرآن الكريم العظيم هو اكبر ميراث النبيّ لامته ولكل العالم :

" ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا . " (٣٥)

والسنة بهذا المعنى هي المراد في قول اهل العلم : " اهل السنة والجماعة " يدخل فيها كل ما تركه نبي الاسلام لامته الكريمة واورثه كل الامم في العالم .

" قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . " (٧ : ١٥٨)

والجماعة في هذه الجملة الجميلة المقدسة الموجزة هي الوحدة : وحدة الامة التي الف الله جل جلاله بين قلوبهم ، والتي فوض النبي الكريم على امانتها امور دينه وفوض على اختيارها وعلى ايديها امور دنياها .

فمن نقض هذا العهد وخرج وشذ من هذه الوحدة وخالف الجماعة فلن يكون من اهل السنة ولن يكون من اهل الجماعة . ومن ينكر سنن نبي الاسلام صاحب القرآن العظيم فليس له ان يتسمى وليس له ان يتوسم وان يتسم باسم اهل القرآن .

" إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ "

في سورتي الانعام والروم .

فَارَقُوا من باب المفاعلة في قراءة الامامين حمزة والكسائي ، ومن باب التفعيل في قراءة الجماعة . والتفريق والمفارقة متقاربان في المعنى . فان من فرق دينه بان آمن بالبعض وانكر البعض فقد فارق الدين الذي امر الله به الناس ، وفارق الدين الذي اورثه نبيه امته وكل العالم فمن ينكر السنن فلا يتسم ولا يتوسم باسم اهل القرآن .

تجد لسنة الله تحويلاً - هي غير منخرقة ، وهي غير منتقضة . وهي غير نافية لقدرة الله القاهرة . وهي غير مانعة لنفوذ ارادة الله القاهرة الغالبة القدرة

" إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ."

" وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ."

والقانون الطبيعي في حكم الله وفي امره له صيانة وله موت مثل الحيوان . والله يحييه ويميت . فالنار مثلاً ، اذا استحالت هواء ، فقد ملتت فلا تحرق . " قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم " والماء إذا تبخر يبرد او بحرارة فلا يغرق ولا يقتل ذا تنفس وليس في شئ من امثال ذلك لا خرق ولا اعجاز . بل كل ذلك في سهولة حدوثه وسرعة وقوعه " كلمح بالبصر " بل اسهل واسرع .

هذه معنى سنة الله . اما سنن نبي الاسلام صاحب القرآن الكريم محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وصاحبيه وسلم - فهي طريقة النبي الكريم وسيرته التي كان يتحراها وكان يتوخاها في تبليغ رسالته الى الامة والى العالمين بافعاله النبوية وباقواله الحكيمة وباقراره عمل العامل بعد أن علمه ، وبكتبه الى ملوك عصره والى القبائل .

فكل ما كان يفعله ويتحراه ويتوخاه في تبليغ ما اوحي اليه ، وما انزل عليه وفي تبليغ رسالته الى امته والى العالمين كل ذلك سننه وسيرته في حياته الذاتية ، وسيرته في معاملاته الناس الاجتماعية وسيرته في حاجاته وضروياته كل ذلك من سننه النبوية . مندرج تحت عموم قول الله : " ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون " (٢ : ١٥١)

ورأس سننه وارفع سننه وعمدة سننه وينبوع كل تعاليمه : هو كتابه الكريم . قرآنه العظيم المجيد المحفوظ في مصاحفه الكريمة المكرمة المرفوعة المطهرة في ايدي سفرة كرام بررة ، وفي صدور الذين اوتوا العلم في

نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا . إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا .

وهذا الكتاب في بيان ادلة شرع الاسلام في اثبات الاحكام ، على ايجاز وعلى غاية اختصاره ، سيكون ، ان شاء الله ، بابًا بسيطًا من ابواب كتب الاصول وكتب اصول الحديث . لا يغادر حجة صغيرة ولا كبيرة من ادلة شرع الاسلام الا سيحصيها ان شاء الله . وسيوفي كل الادلة باوفر ظها من البيان ، ان شاء الله .

حسبي الله ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير .

سامضي على شرطي . وبالله التوفيق .

وَمَا خَابَ ذُو وِجْدٍ إِذَا هُوَ حَسْبَلَا

= السُّنَّة = (١)

« سُنَّةُ الله » : هي الطريقة التي اتخذتها حكمة الله في تدابيره وفي كل شؤونه في العالم او في الامم : « سَنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ » « سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا » . « فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ . فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا » .

سنة الاولين لها في الكتاب الكريم معنيان : ١) لِيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ - هي السنن التي بنت عليها الامم نظام حياتها في القديم .

٢) هي سنة الله في الامم السابقة باهلاك العلاة والطغاة وباخذ العتاة والعصاة . هي سنة الله في الامم السابقة بالاثابة في الامم المصلحة العادلة .

والقوانين الطبيعية التي نشاهدها في نظام العالم وفي كل الكون كلها سنة الله التي بنى عليها حكمة الله نظام الكون في كل الكائنات . كلها سنة الله ، وكلها عادة الاهية حكمة [illegible]

على رد النقل باوهن شئ يتوهمه ، وسهّل على المخالف ان يتهوّى على وضع نقل لاوهن واهون شئ يدعواليه .

حتى بلغ الامر الى ان انشقت من بين هولاء واشتقت فرقة تسمت باهل القرآن تنكر الاحاديث الثابتة ، وتنكر السنن ، وتنكر كونها اصلاً من اصول ادلة شرع الاسلام فى اثبات الاحكام . وبما تسمت بلقب اهل القرآن الا لجرأ انكارها سنن صاحب القرآن الكريم . وقد رأيت البعض من هذه الفرقة اتّرَكَ للكتاب الكريم من تركه سنن صاحبه العظيم . فيكون هذا اللقب تزكيةً منكرةً تشبه الاستهزاء بالقرآن الكريم .

(ا) وما قامت على وجه الارض فى عصر من العصور امة متوحشة او متمدنة الا وكانت حياتها جارية على سننها فاسدةً كانت او صالحةً : على سنن اسلافها او على السنن التى نسجها حكماؤها على السنة الحكمة فى اساطيرها ، او على السنن التى تقلدتها امة من مجاوريها . فالسنن فى حياة الامم اجماع طبيعى . والشرائع القديمة وقوانين الامم المتمدنة كلها منسوجة من اعمال اسلافها ومن عوائدها واوضاعها الحكيمة التى توارثها خلف عن سلف .

فالسنن فى الشرائع والقوانين اصل الاصول . وهى فى شرع الاسلام اصل اول بين الاصول الاربعة . والكتاب الكريم يؤيد الاصل الاول ويثبته .

فانتهزتُ هذه الفرصة المناسبة ، اذ كان الله جل جلاله القى على قلبى اَمَلَ ان اكتب هذا الكتاب : **كتاب السنة** لبيان اصول شرع الاسلام فى اثبات الاحكام .

الحمد لله الذى هدانا لهذا . وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مَعَهٗ نُوْرُهُمْ يَسْعٰى بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَبِاَيْمَانِهِمْ . يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا اَتْمِمْ لَنَا

"أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" (٤٧ : ٢٤)

نعم، ليس في اختلاف الافكار من بأس. الا اذا اتخذوه ذريعة للتفرق والتنافر وتعادي القلوب. وقد اتخذوه وقد فعلوه. وقد غلوا في ذلك غلواً فاحشاً اذ اكتفروا والتعنوا واذا قتتلوا.

يقول صاحب اللزوميات، ولاينبئك احد مثل خبير:

غنينا عصوراً في عوالم تهمة فلم نلق الا عالما متلاعنا
اذا فاتهم طعن الرماح فمحفل ترى فيه مطعوناً عليه وطاعنا
هنيئاً لطفل أزمع السير عنهم فودع من قبل التعارف ظاعنا

وكان عقلي ينفر ويذهب مغاضباً وصدري يضيق مضطرباً حرجاً اذ كنت ارى ان الكتب الكلامية تنتقص شديداً لانتقاص الادلة النقلية اذ تقول: ان النقل لايفيد العلم ولايفيد القطع اصلاً. تدعي ذلك بتشكيكات وهمية واشتباهات سوفسطائية لايليقها في الاماني الا شياطين الاوهام. وادلتهم العقلية في علم الكلام كلها نقول منتحلة من كتب الفلسفة القديمة اليونانية. لانعلم: هل كان المترجم الناقل يتقن لغتها القديمة ويفهم حق الفهم كل معانيها. وما يسميه علم الكلام دليلاً عقلياً هو في اصله ظلمات بعضها فوق بعض. وقد تبين اليوم بطلان اكثرها في الالاهيات والفلكيات والطبيعيات. ونقول علم الكلام من الفلاسفة اضعف بكثير من نقول رواة الاحاديث في كتب الاحاديث.

يقول صاحب اللزوميات، ولاينبئك مثل نبأ خبير:

غدت حجج الكلام حجاً غدير وشيكاً ينعقدن ويتقضنه

وانتقاص الادلة النقلية في مقابلة الادلة العقلية سهل على متكلم من الفرق الكلامية وعلى فقيه من المذاهب الفقهية ان يتهور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اهل الحمد، يسبح له كل الكون بأكمل حمد. والصلاة والسلام على رسوله محمد اكمل عبد. وعلى آله وصحبه الذين قاموا لله بالله باوفى عهد ورضى الله عن كل اصحابه المهاجرين والانصار الذين جاهدوا في الله حق جهاده على اخلص جد. وعن الذين اتبعوهم باحسان الى يوم وعده.

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له. وان محمداً عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ. وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا. رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ.

أما بعد فاني من قديم الزمن كنت شديد الشغف بالتعلم والمطالعة وبالنظر والتفكر في امور كانت داخل دائرة استطاعتي.

"قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ: أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا" (٣٤:٤٦)

فاذا حضرت عند معلم كنت اطلب العلم، خالصاً لوجه الله مخلصاً له ديني. فارغاً قلبي عن كل غرض سوى رضى الله. واذا اختليت فرداً كنت اقوم لله، ابتغاء مرضاة الله في تثبيت ماتلقيته، وانا في المثاني كان هذه سبيلي ايام الطلب. وانا الى آخر نفس من حياتي على سبيل الطلب. ان شاء الله.

"على هدى من ربي." "على بينة من ربي."

وكنت في اوائل سني الطلب اقرأ كتب المذاهب الكلامية والمذاهب الفقهية. وفيها اختلافات قديمة عظيمة، سرى اثرها السيئ الى كتب التفاسير وكتب الاحاديث. حتى كانت تلك الاراء الكلامية اقفالاً على قلوب ابناء الامة، تسد باب فهم معاني الكتاب الكريم من آياته البينة وتصد عن سبيل التدبر والتفكر في آيات القرآن الكريم المفصلة المحكمة.

" وَمَآ اَرْسَلْنٰكَ اِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِيْنَ " (۲۱ : ۱۰۷)
" قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ " (۳ : ۳۱)

كتاب السنة

فی بیان ان سنة سید الانبیاء محمد رسول الله صلی الله علیه وعلی آله وصحبه وصاحبیه وسلم، الذی ارسله رحمة للعالمین وفطره علی خلق عظیم، وابدعه اکبر آیة من آیات الله العزیز العلیم، اصل اول واصل اجلّ واسهل واصل اعلیٰ واکمل بین اصول ادلة شرع الاسلام الاربعة .

و فی الکتاب بیان لکل اصل ولکل دلیل اعتبره اهل العلم وائمة الاجتهاد فی فقه الاسلام . بایجاز واجمال بیّن واضح یهدی الی التفاصیل .

یحمل هذا العلم من کل خلف عدوله : (۱) ینفون عنه تحریف الغالین، (۲) وانتحال المبطلین، (۳) وتاویل الجاهلین .

" لاتزال طائفة من امتی قائمة بامر الله . لایضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتی یأتی امر الله ، وهم ظاهرون علی الناس . " (الامام البخاری والامام مسلم والامام احمد .)